تحريم البغاء

عند قدماء المصريين

وحملة الحكومة على البغاء

بقلم

انطون زكري


أمين مكتبة المتحف المصري



الثمن ٥ صاغ

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م



تحريم البغاء

عند قدماء المصريين

وحصة الحكومة على الغانية

بقلم

انطون زكرى

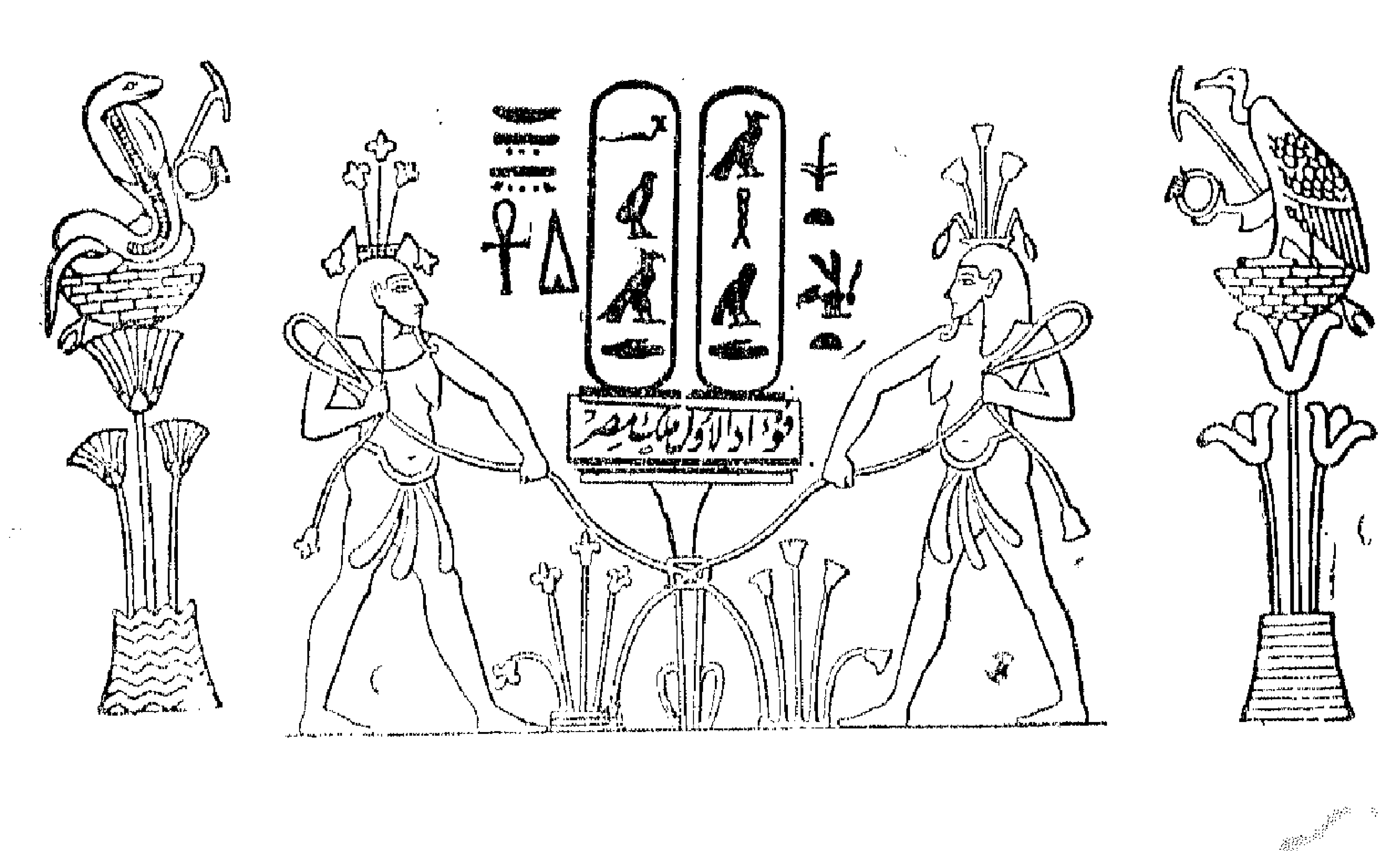
أمين مكتبة المتحف المصرى

الثمن ٥ صاغ

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر
١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

مليكنا المعظم رافع لواء العلم في مصر







حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا

وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية ورئيس لجنة بحث البغاء الرسمي

المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر فى ١٢ ابريل سنة ١٩٣٢

مقدمة

للنفس في تطوراتها دوافع قهرية ، فعند صفائها وطهرها تميل الى الفضيلة والشمم ، وعند انعدام الاعتدال وعند التطوح فى الانحطاط ، تـكون أقرب الى الشر وأسرع الى الاضرار والافساد

تداولت أقلام الباحثين فى هذه الايام شذرات من نفثاتهم فى هـذا الموضوع الأدبى الخطير ، وامام اختلاف الرأى فى الغاء البغاء ، وميـل المتطرفين الى ابقائه ، لا بأس من لفت الأنظار الى نظريات وجيزة تمهيـداً للاطمئنان القويم بان الغاءه من مقتضيات الصالح العام ، والنظام المحكم لحفظ كيان الشعوب ، وصيانة الـكرامة القومية بحفظ الانساب على الاقل .

الانسان بفطرته دراك حساس ميزه الله بالقوة العاقلة ، التى كرمه وفضله بها على كثير ممن خلق تفضيلا

فاذا تطوحت فطرته الى النقيصة ، استباح فى سبيلها إتيان جميع تصوراته الشهوانية ، فلا تردعه شهامة النفس ، ولا حقوق الآداب عن التلوث بالشائنات ، فيندفع فى سبيلها بما تسول له هواجسه الشريرة ، ويتوسع فى وسائلها غير مبال باستنكار أو انتقاد ، وهذا مايسمى عند علماء الاخلاق بفقدان الحياء ، والحياء يودعه الله فى النفوس التى أراد تـكريمها ،

فيزجرها عما لا يليق ، ولهذا جاء فى بعض الاحاديث المأثورة : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

فالحياء بهذا المعنى هو السياج الرادع ، والحاجز الاكبر ليصد النفس عن تطوحها فى الرذائل .

والحالة الشهوانية تخرج الآدمى المنقاد لها عن الكمال اللائق ببنى الانسان ، فيقترف ما هو ألصق بالصفات البهيمية لا بذاته الشريفة .

وتتأصل داعية الفجور فى النفس « عند تسفلها » وتزودها بالجرأة وعدم المبالاة ، فتسير فى هذا الانحطاط بدوافع ذميمة ، وتحبب اليها الفساد واغواء الغير عليه .

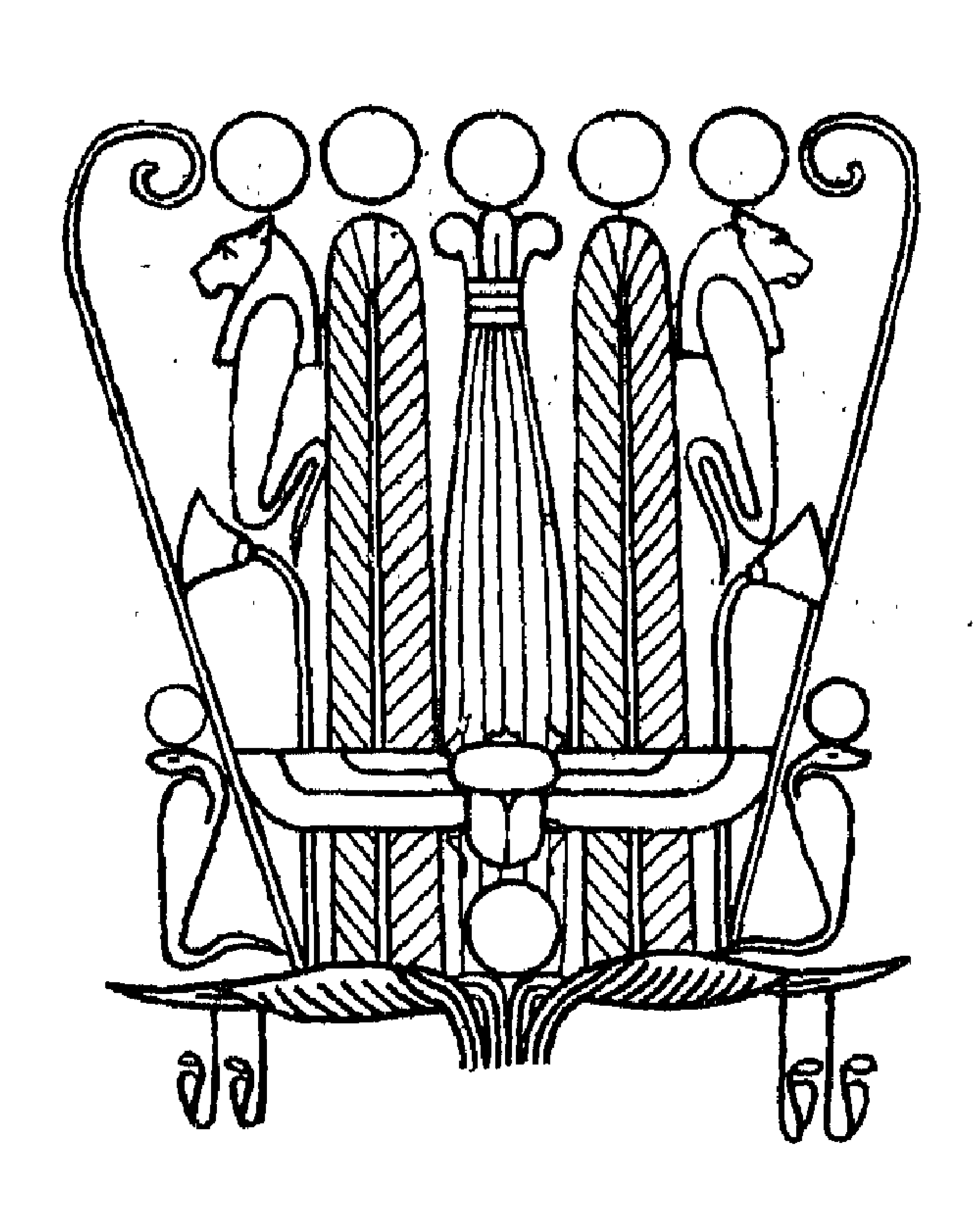
والبغاء من أشر الصفات الممقوتة دينا ونظاما ، تنقاد اليه النفس بالحبائل الشيطانية ، ودوافع الغرور المقترنة بالذهول عن العواقب ، فيجترئ الشاب أو الفتاة على اجتذاب الآخر اليه أولاً باقرب المؤثرات وثانيا بالانهماك الذهنى فى ابتكار الحيل ، وثالثا باتمام الجريمة التى أصّر على اقترافها . وهنا يبتدئ الكيان الخلقى فى الانهيار والتلاشى ،وتنبعث عند هذا الفريق الجرئ شرور التحريض والاغواء ، وتتسع شناعة البغاء استباحة واستلذاذاً ، لولاهما ما أقدمت النفوس الشريرة عليه ، ولا تناقلت آثاره سيئات العادات ووسائل الفساد .

يتلخص من ذلك أن الغرائز غير القويمة فطرية فى النفس ، وكانت تزجرها عنها سيطرة العدالة المهيمنة على الشعوب والاقوام ، وكانت الحالة الاعتدالية تشجع هذه الهيئة المسيطرة في هيمنتها .

فبعد أن اتسع المجال بالهوان النفسانى الى هذه الدائرة السحيقة ، ذاعت موبقات البغاء أينما وجد الانسان عند تغلب الصفات البهيمية على القوة النفسانية المدركة .

هـذا الايجـاز يكاد أن يكون تعريفا عاما لمبادئ النشأة الفطرية للأنسان فى دور استقامتها ، وكيف يطرأ عليها الشذوذ ، فيخرجها من دائرة الصلاح الى الفساد .

ولـكثير من علماء المصريين القدماء مباحث دقيقة فى هذا الصدد ، نقتطف منها ما يأتى ، دلالة على أن الشعور الذهنى عند كافة الشعوب ، يدعو الى الفضيلة ويستنكر الرذيلة مهما اختلفت الاوضاع التشريعية والتقاليد القومية .



سيظهر قريبا

تاريخ مصر القديم

لهيرودوت

أبى التاريخ

فى القرن الخامس ق . م .

ترجمه ونمق حواشيه وأنتقى صوره

انطون زكرى

امين مكتبة المتحف المصرى

وليسانسيه فى الآداب (قسم الاجيبتولوجيا)

من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٨

صورة المؤلف



كتب للمؤلف

(١) الدليل المصرى للمتحف المصرى طبعة أولى وثانية وثالثة (نفد)

(٢) الأدب والدين عند قدماء المصريين

(٣) مفتاح اللغة المصرية القديمة وانواع خطوطها واهم اشاراتها ومبادىء اللغتين القبطية والعبرية

(٤) الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة

(٥) النيل فى عهد الفراعنة والعرب

(٦) مرشد اهرام الجيزة والمتحف المصرى

(٧) العاطفة والانتقام رواية مصرية قديمة (تمثيلية)

عناية الفراعنة بعفاف المرأة

قال العالم ديفور : « إن البغاء لم يعرف فى العالم ، إلا بعد أن أباحت المرأة نفسها ، كسلعة تتلقاها الأيدى فى الأسواق » .

ومن النصوص القديمة لأهل كلديا وفنيقية وأشور ، يفهم أن البغاء كان منتشراً فى المدن الشرقية الكبيرة . وان من عامة الشعب شواذاً يميلون عند تقلب الدهر بهم الى استباحة نسائهم للفجور . ومن بين هذه النصوص مايؤكد أقدمية انتشاره عند بعض الطوائف اليهودية الذين كانوا مهاداً للجهر بفساد الأخلاق ، حتى حقت عليهم لعنات الأنبياء واستوجبوا نقمة الله ، كما جاءت بذلك نصوص التوراة المتعددة ، ومنها أيضا أن اليونان بافراطهم فى محبة الجمال ، وتجاوزهم فى ذلك حدود التعقل الطبيعى ، تفننوا فى استهواء النساء لشهوانياتهم ، واستعانوا فى ذلك باناشيد وأغانى الشعراء التى كانوا يلقنونها للعاهرات ، تفانيا واسترسالا فى الأغواء ، و بتمادى الوقت اقتدى بهم فى ذلك فريق الرومان الاشداء وتوسعوا فى الأساليب ، حتى خصصوا له بعض الأماكن فى أقسام معينة من مدائنهم ، ليكون فريق المتلاحقين بها آمنا من تعرض الناقين عليهم .

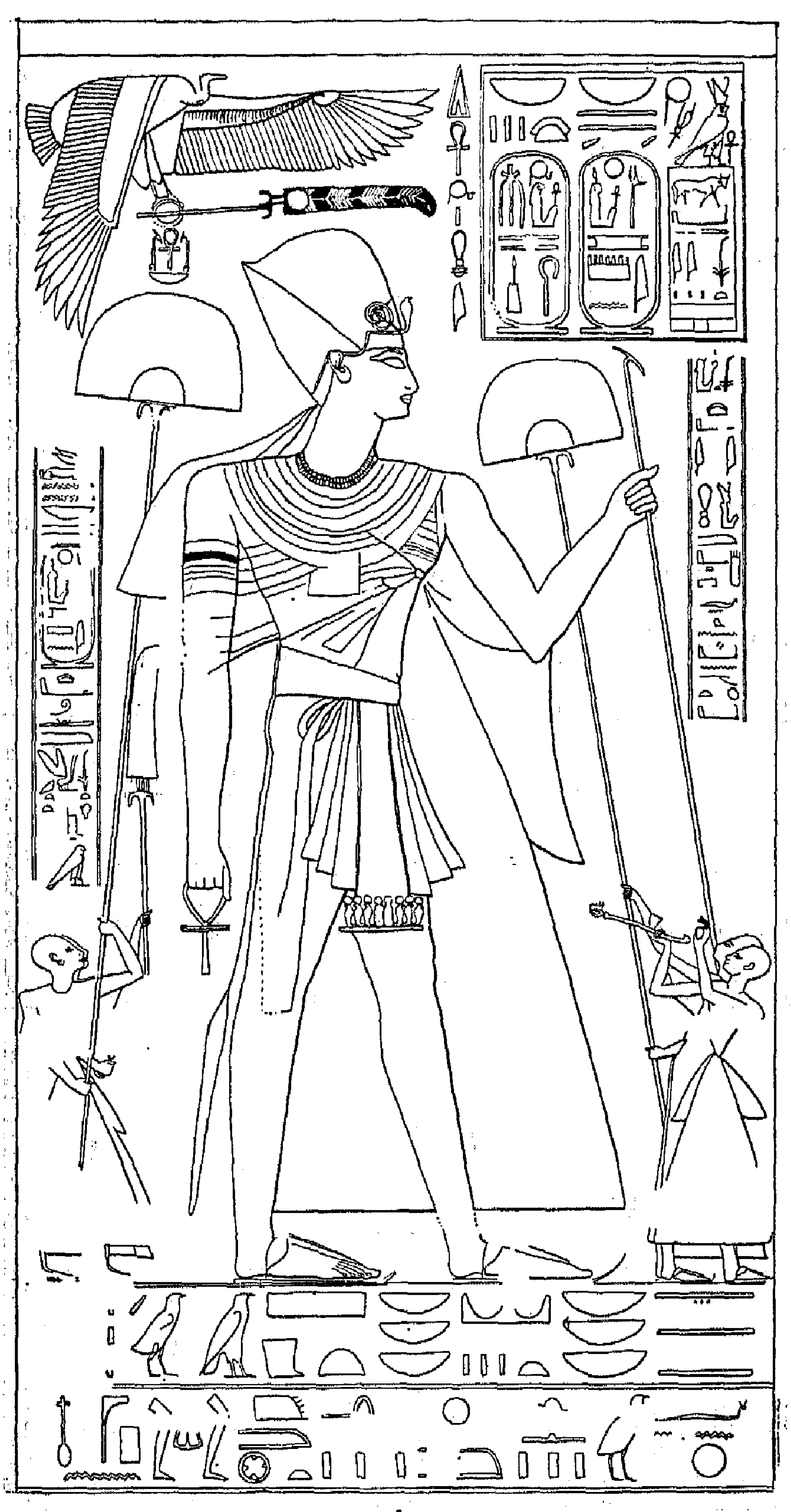
وأما الفراعنة الأقدمون فى مصر ، فكانوا بطبعهم الاحتشامى يوجهون عنايتهم و يقظتهم الى توقير الأخلاق القويمة ، حتى لا يتطرق الفساد الى الشعب اذا تهاونوا فى هذه الوجهة . فكانت شعوبهم تدرك منهم اليقظة والغيرة فى المحافظة على الآداب ، وفى اجتناب المعيبات الأخلاقية ، والعناية التامة بصيانة النساء ، فانهن أقرب الى التأثير ، ان لم تحفظهن عناية الحاكم من أى مساس يؤدى بهن الى السقوط فى المهالك .

واشتهر رعمسيس الثالث أحد أولئك الملوك العظام ، بأنه كان يعد نفسه كجندى أو محام ، ويجاهر على الدوام بأنه يخصص كل عنايته ومجهوداته للاحتفاظ بكرامة النساء ، وغرس الاحتشام فى نفوسهن ، حتى يكون فيهن سليقة متينة ، لا تتجاذبها الرياح بسهولة. وكثيراً ما كان يصرح لرجاله وقواده فى جميع الحفلات ، بأنه لا يبيح أن تحس المرأة باضطهاد أو بامتهان ، وانه يفتخر باطمئنانها الأدبى فى عهده ، فتذهب كيف شاءت ، وتجتاز الطرق الى المقاصد الشريفة ، والرغائب التى تستدعيها شؤون الحياة القويمة ، آمنة من أن تمس بسوء حتى ولو من عيون الطير المحلق فى الهواء .

كان للمرأة المصرية بهذه النشأة عز القومية ، وشمم الإباء ، ووقار الصيانة ، بينما النساء فى الشعوب الأخرى كان يحجر عليها فى الخدور ، ويستعبدها الآباء والاقارب ، كما كان يستعبدها الزوج ، ويقسو عليها أبناؤها بعد موته ، كأنها من أجزاء المواريث ، أو بعض الدواب المحصورة فى محتويات التركة ، غير متمتعة بشئ من حقوقها الاجتماعية .

فكان لمصر فى هذا العصر الافتخار الأتم بتهذيب البنات ، وتعليمها علماً نافعاً شاملا للآداب والعقائد ، وبهيئتها لأن تكون ربة بيت ، تديره بالخبرة والأمانة والعطف على بنيها ، وحسن المعاشرة بين عائلتها ، وإحكام الألفة بينها وبين زوجها فتزداد رابطتهما متانة وقوة بتقادم العهد ، لتشبعها منذ صباها بالتعاليم القويمة ، ووجودها فى بيئة صالحة ، تذكرها بما نسيت من شؤون الاعتدال ، وتعلمها ما جهلت من كمال التربية وحقوق العفاف .

فنشأت تلك المرأة المصرية على فضائل العفاف ، والتقوى والأمانة ، والميل الى الخيرات والمبادئ الصحيحة ، يؤلمها أن تقع فى عصمة زوج غير متصف مثلها بهذه الصفات ، ولا تسمح لها كرامتها بتدنيس جسمها أو تاريخها ، بما



رعمسيس الثالث حامى المرأة المصرية القديمة فى عهده

يضاد أى شئ من هذا النظام القويم .

فى آثار المصريين والأوراق البردية كثير من النصائح والحكم ، ولكن قد لعبت بها أيدى التفريط والضياع ، وعلى كل حال فالنـزر القليل الموجود منها بين أيدينا اليوم كاف لاثبات الحقائق ، الدالة على احترام مكانة المرأة فى عهد الفراعنة ، وما كان لها من مجد الذات وعزة النفس .

ولما تغير كيان مصر الحكومى ، تلاعبت الدول باستقلالها فى عهد سابق لالفى سنة ، وتهاون الولاة الأجانب فى شؤون البلاد ، وتغاضوا عما يتعلق بصالحها الاخلاقى ، كما هى عادة المستعمرين الذين لا يسرهم إلا اخضاع الشعوب ، والاستغلال من طريق استرقاقهم ، سواء حافظوا على شئ من تقاليدهم وعقائدهم وآدابهم ، أو أضاعوا من نفوسهم كل هذه المزايا ، ماداموا خاضعين لنير الاستعمار ، و بتفريط أولئك الاجانب فى أزمنتهم ، والقائهم للنساء الحبل على الغارب ، تمادت المرأة الى الطموح ، ملقية بنفسها الى مراتع الشقاء والهوان ، وطابق ذلك أميال الاستعمار ، فان من أقوى الوسائل لاذلال الشعوب واخضاعها فقدانها الكرامة القومية ، وتجردها من الفضائل التى هى الأساس الأول فى قوة الارتباط و يقظة العواطف .

تدرجت البلاد بهذا السبيل الى الانحطاط الأدبى ، وتمهد الدور الى خرابها ، وتسلط عليها الهوان فى كل شئ ، حتى جعلوا للبغاء فوق الأباحة نظاما حكوميا لتأمين الزانى والزانية ، بعد ما جاء فى الكتاب العزيز : « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » .

فما ابعد الشقة بين الأدوار الأليمة (فى عهد التسلط الأجنبى) التى توقع البلاد فى العار والمهالك ، و بين الحكومات الوطنية الرشيدة ، الحريصة جهد استطاعتها على محو كل شئ يشين سمعة البلاد ، و يعطل سبيل سعادتها ، فان الحكومات

الأهلية تأخذها الغيرة بكل معانيها على سعادة الأمة ووقارها ، وتجديد الارتقاء والرفاهية بأقصى مجهود .

ومن الأدلة الحديثة العهد على هـذا المبدأ ، أنه لما تورطت مصر بتأثير الاجانب فى احـداث لائحة العاهرات ، واتساع هـذه الهوة لمن يأوى اليها من الأسافل والجهال ، أدركت الخطر المنهك لهذا الفريق من مجموع الأمة ، وانه يعود عليها بالتألم المؤثر فى تلاشى النسل ، وفساد الأمزجة ، وانتشار الأمراض ، وفتكها بين الطبقات ، فأيقظتها ضرورة اتقاء هـذه المهالك التى جلبت للبلاد كل نقص وخسران ، فعولت بموجب الصالح العام ، ووخزات الضمائر وتيقظ الفطن لتدارك الخطر ، فقررت الاصغاء لصوت الحق بالغاء البغاء ، وعدم اتخاذه مهنـة بين الرعاع والأسافل للارتزاق كما يزعمون ، وشرعت فى استجماع الآراء للاقرار على تعميم الغائه بكافة البـلاد ، لأن بعض النفوس الشريرة يدفعها التطرف فى الفجور الى وقاحة القول بالعدول عن هذا المقصد الشريف ، فأرادت الحكومة من باب مقارعة الدليل بالدليل تأليف لجنة ، ناطت بها هذه المهمة لبحث أطرافها من كل الوجوه صيانة للآداب ، ووقاية للصحة ، وعناية بالتناسل ، وعدم تعرض الشعب للتلاشى ، كما حلّ ببعض البـلاد فى حكومات أخرى من الدول الأجنبية ، فاقتدت الحـكومة فى تدارك الخطر عما سبقها اليه أولئك الرجال العظماء فى دولهم ، (وهم أعمق فى المدنية الـكاذبة الاوسع مجالا لمألوفات أولى الزيغ والتطرف الجنونى فى مناصرة المفاسد) .

أحست الحـكومة المصرية بسوء العاقبـة ، لطول التهاون فى هـذا الأمر ، وألفت اللجنة التى عهدت اليها بالبحث ، واستجماع الآراء الصائبة ، لتأخذ من بينها النظام الحسن للزجر عن الفساد ، والعودة ولو لدرجـة معلومة ، الى ما كانت عليه البلاد من استقامة الأحوال ، والتمسك بالحياء والوقار والشمم ، وحفظ

العائلات من المضار المفهومة ، وأصدرت اللجنة مطبوعات ووزعتها على الجماهير ، ليوضح فيها كل باحث أدلتـه على المنع أو الابقاء . نعم إن هـذا الأسلوب لا تدعو اليه ضرورة الحزم فى التشريع الادارى ، ولـكنها أرادت كما قدمنا مقارعة الحجة بمثلها ، والوقوف على اتجاه الرأى العام .

ولـكونى ممن شملهم حسن الحظ بوصول بطاقة من هـذا المطبوع الىّ ، ولاتصالى بمعلومات تاريخية ، عما يتعلق بهذا المبحث وأمثاله فى عصور الفراعنة ، ولما كان الرجوع الى التاريخ الموثوق به فى أمهات المسائل ، مما يفيد الباحث أو المطلع ، فقد دفعنى الواجب الوطنى لأن أكون فى جملة من قاموا بقسطهم فى هذه الخدمة الوطنية ، ولخصت فى هذه العجالة موجزات ، مما تيسر لى الاطلاع عليه من مؤلفات الأولين ، تعضيداً لوجهة الصواب ، واستنهاضا لهمم ولاة الأمور فى اتمام ما بدأوا فيه بأسرع ما يمكن ، قبل أن تصعد الروح من التراقى التى بلغتها ، فان المريض المحتضر بعـد انقضاء نفسه الأخير ، لا تجـدى فيـه المعالجة نفعا ، والجهلاء المنهمكون فى هذه السفاسف المهلـكة ، هم أقرب شبها بالمريض المحتضر ، والمروءة تنادى الطبيب الماهر بالاسراع لحسن العلاج .



النصوص المنزلة في تحريم البغاء

عند قدماء المصريين

(مقتطفة من ورقة إبرْس الطبية وهى أقدم كتاب فى العالم)

الكتب السماوية المتداولة الآن ، كلها مجمعة على تحريم الزنا وتقبيحه ، وإقامة الحدود الزاجرة على مرتكب هذه الرذيلة الضارة بالمجتمع فى الانساب والآداب والأجسام . وكل الشرائع تنذر بالويل والثبور جميع الامم ، التى تفشو فيها هذه الفاحشة ، وتنذر المنغمسين فيها بسوء المنقلب .

كل الطوائف المؤمنة بهذه الكتب ، على اعتقاد بأن العقاب الدنيوى ، اذا لم تقم به الهيئة المسيطرة ، فالعقاب الأخروى لامناص منه ولا فرار .

لا شك فى أن هذه الكتب السماوية المحترمة ، جديرة بالأجلال من جميع الشعوب المتبعين لأحكامها ، ففضلها وعدالتها ليس من مقصدنا الآن اطالة البحث فى موضوعه ، فضلا عن كونه من المعلومات البديهية .

وانما نقصد بما ننوه عنه فى شأنها أن أحكامها القويمة جاءت بها الكتب المقدسة الأخرى ، فيكون الاستشهاد بطرف منها فى هذه النبذة برهانا فوق برهان ، على أن البغاء مستقبح قديما وحديثا ، وشذوذ بعض الأشرار لا يقبل امام تلك النصوص المقدسة ، فالجحود والالحاد هما أيضا من أفظع المفاسد المزرية بهذا العصر .

ومن الكتب التى نستأنس بنصوصها فى موضوعنا « كتاب الموتى » الذى

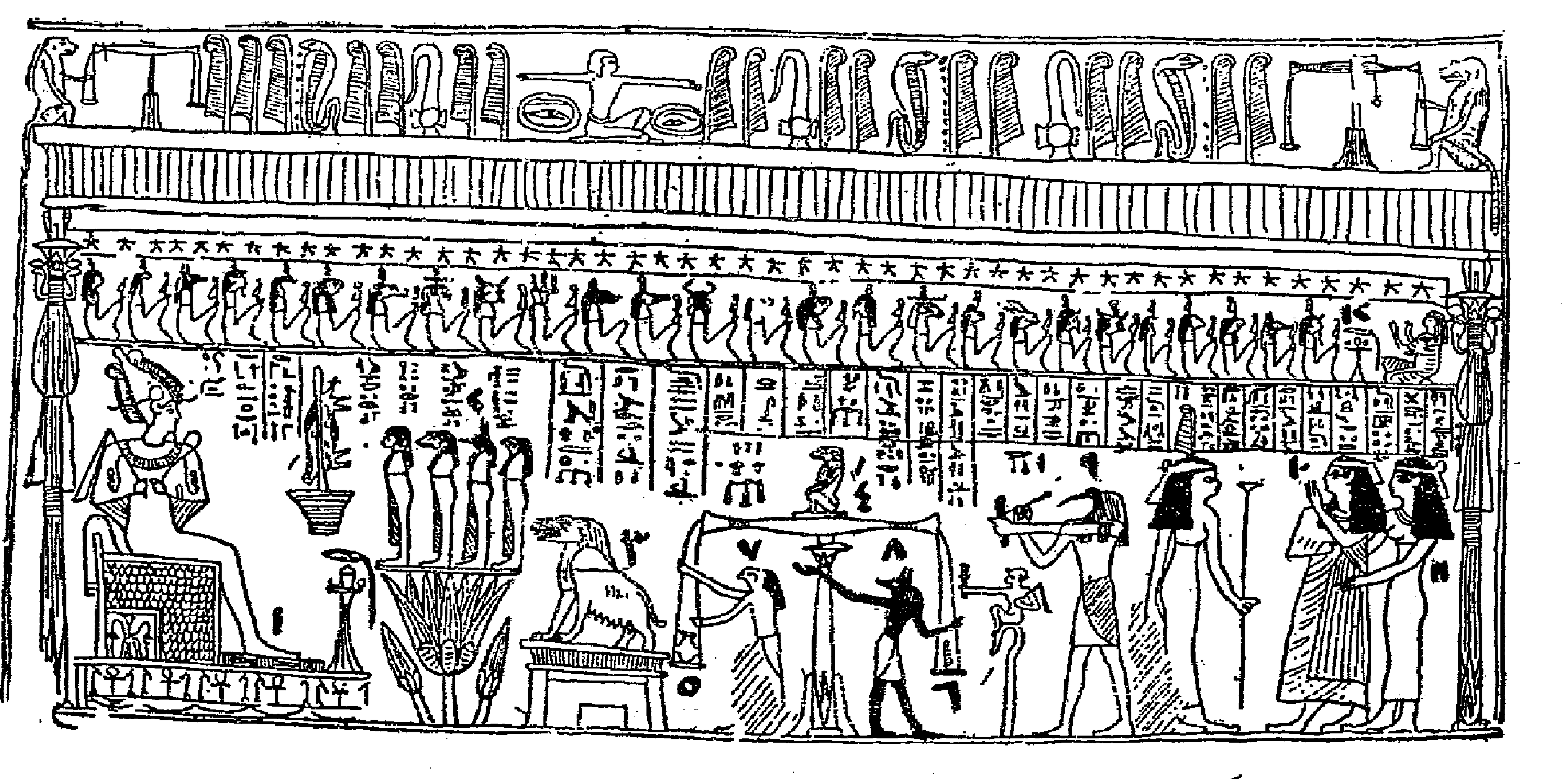
يعتقد قدماء المصريين أنه من الكتب المنزلة فى العصور الأولى . ولفرط عقيدتهم فيه كانوا جميعا يتواصون بتلاوته ، وحمله للاتعاظ والاقتداء بوصاياه ، وعندهم الايمان بخلود النفس وعالم الدينونة عقيدة ثابتة لا تجهل ، بل يتوارثون الأخذ بها جيلا بعد جيل كمعلومات روحانية ، يتلقاها رجال الدين منهم ويرشدون اليها من دونهم ، حتى بلغت بهم سعة العقيدة الى الجزم بوجوب وضع نسخة من هذا الكتاب مع الميت ، لتقرأ منها روحه كل يوم بعض الأجزاء كما كان واجبا متبعا لديه فى حياته الأولى ، وان ذلك ينفعه فى آخرته ، ومن أجل هذا الاعتبار سمى الكتاب المذكور « كتاب الموتى » وهو فى واقع الأمر شامل لكثير من النصائح والوصايا الدينية الآمرة بالمعروف ، والناهية عن المنكر .

وفى الفصل ١٢٥ من هذا الكتاب تفاصيل عن محاكمة النفس بعد الموت وتمثيل لعرض الأشخاص باعمالهم أمام محكمة أزوريس ، وان صاحب الذنب يجتهد فى تبرئة نفسه ، وفى مقدمة الذنوب التى بانكارها يستمد لنفسه المغفرة تبرؤه من الزنا .

وبهذا يستدل القارئ على أن فاحشة الزنا مستنكرة امام الأخلاق القويمة ، وامام الأرواح الطاهرة ، وامام الكتب السماوية بأجمعها ، وانها من أفظع الكبائر ، ولذلك يبتدئ المذنب بذكرها فى مقدمة ما يتنصل به عن ارتكابه من الذنوب ، طالبا باقراره أن ينال المغفرة .

واذوصلنا فى الاستشهاد الى مايختص بالمحاكمة الأخروية أمام محكمة الديان أزوريس ، فلابأس من أن نلخص هنا عنها بعض الشئ ، لأن هذه التفصيلات لا يستطيع أغلب الناس العثور عليها .

يرى القارئ من الصورة الخيالية « لمحكمة أزوريس » أنها كانت مؤلفة من أزوريس القاضى الأعلى (رقم ١) وحوله قضاة ٤٢ (رقم ١٢) و بين الهيئة



رسم محاكمة النفس بعد الموت عند قدماء المصريين منقولة من ورق إبرس الطبية وهى أقدم كتاب فى العالم وشرحها وارد فى صفحتى ٢٠ و ٢٢ . واذا شئت الاطلاع على تفاصيلها فاقرأ كتابى « الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة »

ميزان (رقم ٤) ، فى كفته اليمنى (رقم ٦) ريشة العدل رمزا للمعبودة (ماعت) ممثلة الحق ، وفى الكفة اليسرة (رقم ٥) قلب الانسان رمزاً لأعماله — و يراقبهما المعبودان حورس برأس صقر (رقم ٧) وأنو بيس برأس ابن أوى (رقم ٨) وقاضى التحقيق (الاحالة) (رقم ٩) المعبود تحوت برأس الطائر إبيس ، حاملا بيديه سجلا فيه أعمال الميت فيدوّن نتيجة الحكم .

يقف الميت (رقم ١٠) على باب قاعة العدل ، وخلفه المعبودة (ماعت) إلهة العدل (رقم ١١) و يدافع عن نفسه بانكار ما نسب اليه . وفى جملة أقواله « إنى يا ربى و إلهى لم أرتكب الفحشاء ، ولم أشته إمرأة قريبى » مما يدل على فظاعة الزنا وشناعته .

و بعد إتمامه الدفاع العلنى ، يؤخذ الى داخل المحكمة ، و يناقش فى سجل أعماله امام كل قاض على حدته .

فاذا ترجحت حسناته ، فتحت له أبواب الجنة ، وأذن له بالنعيم . واذا تغلبت سيئاته ، سلم الى الوحش المفترس المدعو (م) بالمصرى القديم (رقم ٣) ونفذ عليه العقاب بادخاله الى النار وعذابها الدائم .

والاطلاع على هذا الايجاز ، وعلى الصورة التمثيلية ، كاف لاثبات ما كان عندهم من العقيدة فى استنكار المحرمات ، وان الزنا فى مقدمتها ، وان كل انسان يلقى جزاء عمله خيراً أو شراً ، كما تشير اليه الآية الكريمة « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .



أقوال فلاسفة قدماء المصريين في تحريم البغاء
وتشديدهم العقاب على مرتكبه

ثابت أن العقل البشرى ، اذا ترقى فى مراتب الإدراك والتهذيب استعذب مناهل الفضيلة ، واستطاع نشر مبادئها بأقوم طرائق الحكمة والمواعظ الحسنة . وأولئك الفضلاء الملهمون بهذه المزايا ، يمتازون بها فى الشعوب ، وتذعن الاقوام لارشاداتهم والأخذ بمذهبهم .

ومن سعادة كل أمة أن يكثر فيها أمثالهم ، يتعاونون على الثقافة الأدبية ، فتسرى معلوماتهم بين الطبقات ، وتحدث أثرها المشهود فى المجتمع بقدر استعداده .

وقد امتازت الأمة المصرية بأفراد من مشاهير الاعلام ، خصصوا حياتهم للارشاد والتهذيب فكانوا خطباء نابغين وعاظا نافعين وفضلاء يقتدى بآرائهم وهم بنور الفطنة وسمو العقل ينطقون بالحكمة عن تكييف الوجدان بالحقائق الايمانية . وكل ما يصدر عنهم يتلقاه الناقلون أثراً مشكوراً وكتابا مسطوراً . ومنهم حكماء أتقياء وجهوا اهتمامهم الى سعادة الشعب بأقوم الوسائل ، فأجمعوا على أن من أقومها اجتناب المحرمات ، وان أشدها فى الوزر والاجرام جريمة الزنا التى نحن بصددها ، وعلى ان التبكير بالزواج كافل لقوة النسل ومانع من امراض السيلان وتوابعها

وكتب الشرائع مستفيضة بالنصوص النقلية كتعليمات مقدسة ، وهى عالقة بالاذهان ، ومن قبيلها ما وجد فى الاوراق البردية الأثرية ، ومن بينها كتابان ، أولهما أقدم ما استطاع الاكتشاف العثور عليه ، إذ مضى على تاريخه ٥٠٠٠ سنة

أنشأه الفيلسوف (كاجمنا) الوزير الأول للملك حونى من الاسرة الثالثة ، والثانى كتاب للفيلسوف بتاح حتب وزير الملك أسى من الأسرة الخامسة ، كتبه وعمره ١١٠ سنوات ، وفى كليهما المواعظ الحسنة والارشادات النافعة ، ونقتطف منها ما يختص بجريمة البغاء :

قال « اذا إيتمنك الصديق بمقتضى المخالطة على أسراره العائلية ، ومنحك ثقته وسمح لك بالتردد على داره ، فاجتنب امام ذلك أن يجول بذهنك أى خاطر سيئ أو يمس كرامة العائلة أو يغرى بك على خيانتها . فان هذه المفاسد تهدد فاعلها بالدمار ، وتعرضه للنقمة الالٓهية ، وتحتم عليه الجزاء الأليم . فمس الاعراض وخيانة الامانة ومحاولة الافساد ، مع من حزت ثقته وعول على صداقتك جريمة كبرى يتضاعف عليها العقاب عند الله جلت قدرته ، وتؤدى للفضيحة والمقت بين الناس ، لأنها اخلال بنواميس الطبيعة وخروج على نظامات الشرائع » .

(ب) وتوجد بالمتحف المصرى ورقة بردية ، لها فى التاريخ قيمتها الكبرى تعرف بورقة بولاق ، وكانت من محفوظات المتحف المصرى حال وجوده بتلك الضاحية من أقسام القاهرة ، وهى الآن فى محفوظات قاعة البردى بالمتحف المصرى ، وفيها من الحكم البليغة ما يجتذب المدارك ، ويوقظ الألباب ، وتاريخها يرجع الى ٣٠٠٠ سنة ، وهى للفيلسوف آنى لتلميذه خونسو حتب ، ونقتطف منها الفقرة الآتية الخاصة بجريمة البغاء :

« لا تترك قلبك ألعوبة فى الميل نحو النساء ، فان ذلك يذهب بقوة دينك وعلو شرفك وأدب نفسك . فالمرأة بما أوتيت من الدهاء ، وتأثير الأنوثة من أقوى حبائل الشيطان ، وهى كالبحر العميق الذى لا يرحم من استهواه الى قراره. واذا كتبت اليك امرأة عن غياب زوجها ، واستدعتك للتردد اليها بهذا السبب ، فاعلم أنها تنصب لك شباك الهلاك ، لأن النفس امارة بالسوء ، والموبقات طريق

سحيق الى الوبال، وغائلة المرأة لا تؤمن فى حدتها الشهوانية » .

(ج) وهناك ورقة بردية أخرى شهيرة بورقة لندره، وهى الآن فى محفوظات المتحف البريطانى، تاريخها يرجع الى الاسرة ٢٢ أى منذ ٣٠٠٠ سنة، وهى عن الفيلسوف المصرى القديم (أمنيت بن كانخت) . ومن المأثور فيها عن استنكار البغاء والتحذير من عواقبه الوخيمة الفقرة الآتية :

« لا ترسل نظراتك الى جارتك، فان اطلاق النظر اليها، يجعلك كالذئب فى خبثه، لأن للجوار حرمة يجب الاحتفاظ بها »[1] .

(د) وتوجد ورقة بردية رابعة تعرف بورقة (ليد) المحفوظة بمتحف ليد (وهذه بلدة بهولاندة الجنوبية) تاريخها منذ ٢٥٠٠ سنة تقريبا، ومن فقراتها العبارة الآتية :

« لا تجعل قلبك يشتغل بمحبة امرأة أجنبية، فتفسد حياتك وتوقعك فى المهالك، فأشرف الصفات للمرأة الجميلة توقد العقل الزاجر لها عن المنكرات، والمرأة العاقلة تكون سببا لسعادة زوجها، والشريرة تعرضه للفقر الدائم ونكد الحياة .

(هـ) ومن وصايا أحد قدماء المصريين فى التحذير من البغاء : « أيها الشاب اذا أحببت فتاة عذراء، فاجابتك للاقتران، فاياك أن تخون الزوجية، بعد اتمام الصلة العائلية، التى على صيانتها حياة المجتمع ونظامه، فاذا وقعت فى هذا الجرم فقد خنت المروءة، وأغضبت الرب، وجلبت على نفسك الضرر والاحتقار » .

وأمثال ذلك كثير فى هذه النفائس التاريخية . وقد أوردنا ما وسعه المقام، دلالة على أن جريمة الزنا تستنكرها بالفطرة الاذواق، والطبائع القويمة، والشرائع الحكيمة، والقوانين الوضعية فى سائر العصور .

---

(١) والى هذا المعنى أشار بعض شعراء العرب فى التحدث عن عفة النفس .

وأغض طرفى أن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وكان قدماء المصريين يشددون العقاب على الزانى ، أملا فى الزجر ، ورغبة فى الصيانة . ومما أورده المؤرخ ديودور الصقلى أن قوانين المصريين القديمة ، تعاقب من زنى بامرأة كرها بقطع أعضاء التناسل ، وان كان بغير اكراه فيجلد الرجل ألف جلدة و يقطع أنف المرأة ، و يصفون هذه الموبقة بأنها جامعة لمضار كثيرة : الاهانة العائلية ، والاخلال بالنظام ، وفساد الاخلاق ، والتباس النسل .

(ز) وقد بلغ تخوف القوم من الوقوع فى الزنا ، بعد ابرام عقد الزوجية ، أن جعلوا له بعض القيود لتدوينها فى ذاك العقد بأن الزوج اذا أخل بحقوق المعاشرة أو مال الى امرأة أجنبية ، يؤدى ترضية للزوجة مبلغا من المال ، وكذا اذا خالفت الزوجة عهد الأمانة وحقوق الألفة واخلاص الضمير تؤدى للزوج مبلغا معينا .

وهذه الاشتراطات مدنية بحتة ، لا تكفى للزجر ولا تقوم بالمنع ، ان لم تقترن بها عقوبات جزائية أمام هيئة دينية توبخ المخطئ وتزجر الغير عن الاقتداء به ، فان النفوس مهما جمحت تتقى شر الافتضاح وتحتاط فى منع اللائمة العلنية التى جعلتها الشرائع من أركان الزجر ومؤثراته الأولى .

فقدماء المصريين وفضلاؤهم ، مهما وصفت عصورهم بالتفاوت عن رونق العصور المدنية الحاضرة وما قبلها ، فهى أبلغ فى الزواجر الدينية مما عليه الحال فى التطورات العصرية الحديثة . وقد صدق الحديث المأثور : « بأن شر الأمور محدثاتها » فاليهم مرجع الفضل فى الاحتياط الكلى لحفظ المرأة من الدنس وصيانة الاخلاق من الفساد ، لأن سياج الدين واحتياط التشريع والأخذ بالأساوب الاقوم فى تقدم الشعوب واستقلالها ، يحتاج نشاط المرأة وعفافها وأمانة الرجل ووقاره . فاذا اختل ركن من ذلك ، فلا يرجى للشعب أن يعيش رفيع العماد ، كما كانت عليه منزلة الأمة المصرية ، قبل أن نرزأ بمصائب التقليد للعادات الأجنبية ، وشذوذها التى يزداد بنا اضرارها كل جيل عما قبله .

ابلغ عقاب للزانى والزانية عند قدماء المصريين

أو قصة خوفو الملك وكبير أمنائه الساحر

وقصة فيرون الملك نقلا عن هيرودوت

أحاط القارئ علما بما كانت عليه سجايا الأمة المصرية فى عصورها الأولى من الشمم والاحتشام ، وان التطور الحديث المأخوذ عن الاقتداء بالعادات الشاذة من أسافل بعض الأمم الأجنبية ، جعل البلاد تهوى تدريجيا الى مهالك التسفل الخلقى المؤدى للهلاك ، الباعث على سوء الأحدوثة ، والى فقد الحياء ، وانتشار الوقاحة ، حتى بلغ التشرد فى بعض النفوس الشريرة الى المباهاة بالنقائص وعدم المبالاة فى الاستدعاء اليها . وأمامنا من الحوادث اليومية الشئ الكثير المؤلم للعواطف المزعج للطمأنينة العامة ، وعلى الاخص اذا لاحظنا أن البعض من ذوى الترف واليسار ، اكثر انغماسا فى هذه المزريات اما لتطوحه فيها ، وإما لقصوره وتقصيره فى أن يدرأ عن نفسه كل شائن ، وإما لتطرفه فى المظاهر الجنونية ، بجعل المرأة راتعة فى الملاهى كيف شاءت ، يرتاح الى كل أفعالها وإنزالها فى الانحطاط الى أقصى مداه .

تنشر الجرائد اليومية بعض الوقائع المحزنة المخزية ، ثم تنطوى تلك الصحف ويعود المجرم والمجنى عليه الى مجالسات ، كان الأولى بهما بعدها سكنى القبور ، لا التمتع بالمظاهر والقصور .

نذكر القصة الآتية ليتعقل منها القارئ الفرق الشاسع بين الفضائح الملموسة كل وقت ، حيث لا زاجر ولا رادع ، و بينما كانت عليه عزة الصولة وقوة الفتوة النفسية فى عهد الملك خوفو مشيد هرم الجيزة الاكبر وكبير أمنائه الساحر.
وهذه القصة مقتطفة من فقرات مدونة فى ورقة بردية مشهورة بورقة « وستكار » ومحفوظة بمتحف برلين ، ويرجع تاريخها الى الاسرة ١٢ أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريبا
وخلاصة ما نقتطفه عنها ينحصر فى الآتى :

ذهب هذا الملك العظيم الشأن ، الذائع الصيت ، القوى السطوة كعاداته المشهورة فى شعائر البر والتقوى الى زيارة هيكل الأله بتاح ، مصحوبا بحاشيته ورجال دولته ، ومن بينها كبير أمنائه (أبا انير) . فرأت زوجته بين المرافقين لحاشية الملك شابا أنيق الطلعة ، جميل المباسم ، تجمعت فيه أنواع المحاسن ، وهو فى عنفوان الشباب ، وقوة الثائرة الآدمية ، وهو أيضا من ذوى الثروة المعدودة . ووهب حظا من افتتان النساء به ، وقد شغفت به زوجة كبير الأمناء ، وأصرت على اجتذابه اليها واستمراره فى مودتها .

استعانت فى إتمام ذلك بخادمتها ، فأوعزت اليها بمقابلته بعد انصراف الملك من زيارته ، وأفهمته الخادمة بان سيدتها تدعوه لزيارتها ، وأنها مهدت له الطريق فى الذهاب والإياب ، ورتبت ما يستدعيه غرامها لظروف المؤانسة به كيفما شاءت وشاء لها الهوى .

أجاب الشاب هذا الطلب ، لأنه كان يلقى اليها نظراته فى كل مرة رآها مع زوجها أثناء تأدية الملك لبعض الزيارات أو الحفلات الملكية الكبرى ، وما يتخللها من تأنق تفوق به أمثالها فى أساليب الترف والدلال .

عادت الخادمة الى سيدتها فرحة مسرورة ، وأكدت لها تلهفه الى ما تحب منه ، وأنه تسلم منها علبة الملابس والهدايا التى كانت بعثتها له مع الخادمة .

ونجحت الزوجة فى ترتيبها ، واستمر الشاب فى زيارتها أوقاتا عديدة ، لا يباليان برقيب ، ولا يخافان امتداد العيون اليهما ، لأنها كانت ممتعة من زوجها بقوة الثقة ، والنفوذ الواسع فى كافة التصرفات البيتية ، وأحوالها الشخصية ، وتغدق بالاحسان على من تشاء من الخدم ليزدادوا طاعة لاوامرها ، وحرصا على استرضائها وكتمان أسرارها .

وفى ذات يوم طلب الشاب اليها أن تكون معه فى كشك البحيرة المسماة باسم زوجها ، ولها فى المملكة شهرة كبرى بدقة الزخارف وأنواع الزينة ، وفى وسطها ذاك الكشك الحاوى لكثير من المخادع والأسرة التى تفنن فيها الزوج لاستجماع لذاته وقت استمتاعه بحليلته .

أذعنت الزوجة لهذا الطلب ، وأمرت ناظر البحيرة باعداد الكشك على أجمل أسلوب ورونق ، فنفذ أمرها بأسرع ما يستطاع ، وبادرت الزوجة وعشيقها ومعها الخادمة الى البحيرة والكشك ، وأنساها صفو الشراب والنشوة البهيمية نفسيهما . فمضى بهما اليوم كلمح البصر ، وأشرفت الشمس على المغيب ، وشرعا فى الانصراف ، وكأنها تريد الاحتياط فى مبارحة المكان ورجوعها الى القصر حتى لايؤلم زوجها عدم وجودها فيه . وتغافل عاشقها عن ضرورة الاسراع فغطس فى البحيرة بدون احتياج الى ذلك ، ولكن كأن ظروف الحوادث أذهلته عن عيون الرقباء ، فرآه على هذه الحالة ناظر البحيرة ، واستنكر كل ما حصل ، وناجاه ضميره بالواجب عليه اخلاصا لسيده .

وفى اليوم الثانى أعلم سيده بكل ما رآه ، فأمره سيده بالتأنى وعدم اذاعة الخبر وبتنفيذ الترتيب الذى سيأمره به .

وطلب كبير الأمناء من ناظر الحديقة التوجه الى القصر ، ليستحضر له منه حقيبة شرح له أوصافها ، فأحضرها واستخرج منها كبير الأمناء كتاب الارصاد

السحرية ، ثم صنع تمثالا من الشمع بصورة تمساح ، طوله سبعة أصابع وقرأ على هذا التمثال صيغة من سحرياته ، وأمر التمثال بقوله : « عند ماترى عاشق الزوجة يموج فى البحيرة ، فاجتذبه الى أعمق مكان وأغرقه فى الماء » .

وسلم كبير الأمناء الى ناظر البحيرة هذا التمثال ، وأفهمه بالقائه فى الماء حالما ينزل اليه العاشق ، وان لا يتفوه بشئ حتى ينفذ فيه ارادته وانتقامه .

وفى اليوم التالى حضر الى البحيرة العاشقان كعادتهما ، ثم نزل الشاب الى البحيرة ، وأسرع ناظرها لالقاء التمثال فى الماء ، فاستحال التمثال حيوانا يطول سبعة أذرع وصار ذا إرادة لتنفيذ ما أوحى اليه به بقوة الساحر المار ذكره ، وجذبه الى جزء عميق واستمر به تحت الماء سبعة أيام .

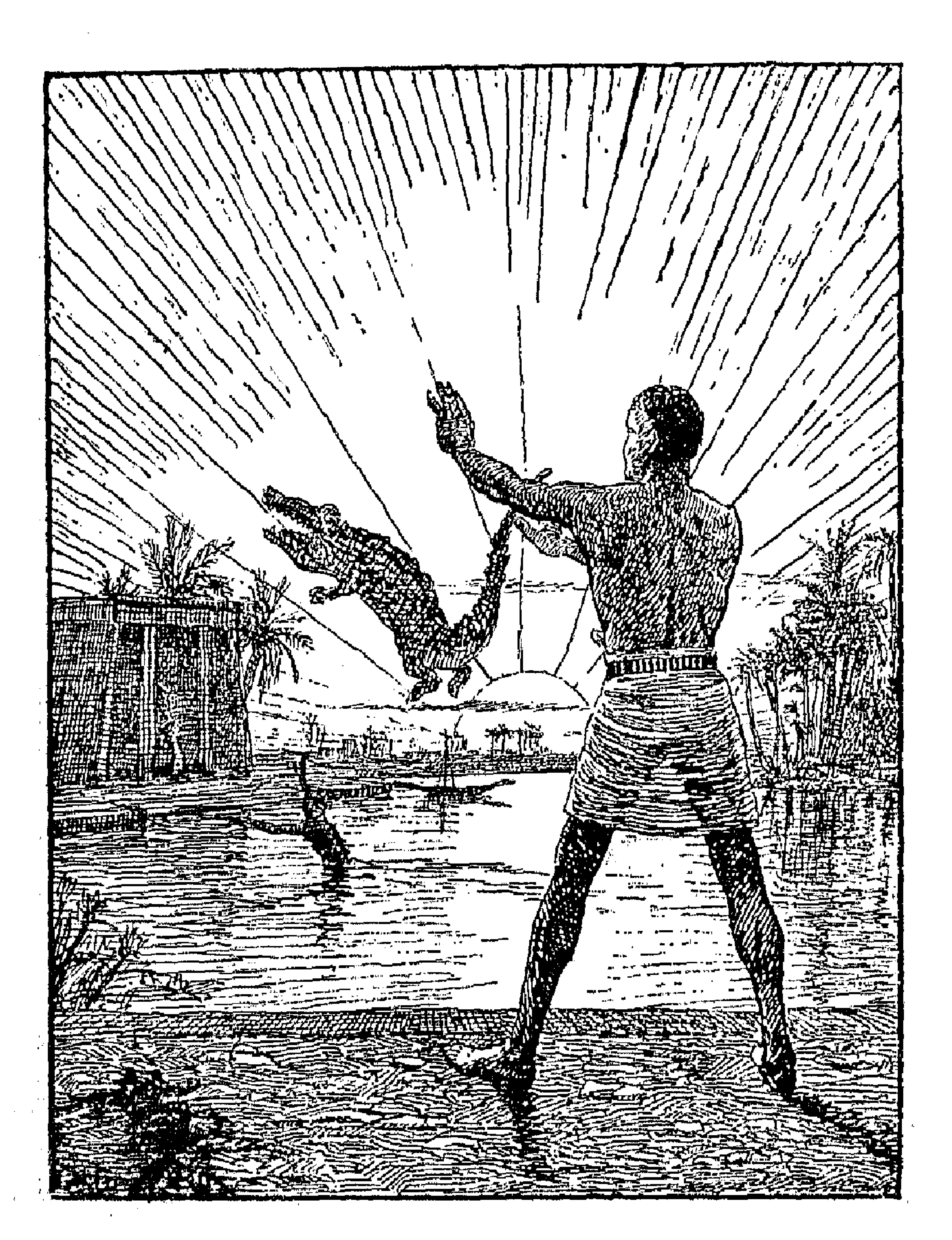
وتصادف أن الملك أراد زيارة أخرى للهيكل وفى جملة حاشيته ورجال دولته كبير الأمناء المذكور ، فتقدم هذا الى مولاه الملك ، مسترحما أن يتنازل الى رؤية أغرب حادث من المعجزات الكونية التى حدثت بدائرة ملكه ، فأجابه الملك برغبته فى الذهاب معه ، ليرى ما يقصه عليه .

ولما وصلا الى البحيرة ، نادى كبير الأمناء التمساح ، فخرج فوق ظهر الماء يحمل ذاك الشاب ، وعندها أمره بالتقدم به بين يدى الملك ، فاندهش الملك لغرابة المنظر ، واستبشع شكل التمساح ، وقوة ضغطه على عنق ذاك الانسان ، وشرح كبير الأمناء تفصيل الأمر لفرعون الذى أمر التمساح بالتهام الشاب ، فذهب به التمساح الى مكان مجهول ، وبعدها لم يوقف له على أثر ، فكأنه نفذ فيه عقوبة الاعدام كاشارة الملك .

وأمر الملك بعد ذلك باحضار زوجة كبير الأمناء الى قصره ، لينفذ فيها العقاب بالاحراق لخيانتها الأمانة فى حق زوجها ، ولكونها لم تحتفظ لذاتها بكرامة وجودها فى حظوة الملك مع زوجها أثناء التشريفات والحفلات الرسمية . وفى اليوم

الثانى استحضرت وأحرقت جثتها وسحقت رماداً وألقوه فى النهر .

من هذا نستنتج أن الملك قرر اغراق الزانى وأحراق الزانية لشناعة الحادثة وغرابة أسلوبها حتى لايجترئ أر باب الفساد من الفريقين على ما عماثلها ، صيانة للكرامة والآداب ، واحتراما لحسن الصلات الاجتماعية .



الساحر والتمساح (نقلا عن بترى)

ويلى ذلك الحادثة الآتية ، وهى تدل على افراط القوم فى عصورهم بالاعتقاد فى الانتفاع من المرأة بكل مزاياها اذا امتزجت العفة بجزئيات دمها ، وامتلأت حواسها النفسية بفضائل الطهر والنزاهة ، حتى صار الطهر الخلقى عنصراً من تكوينها ، فتكاد لمداناتها من منزلة التقديس ، أن تعطى منحا فى الابراء من الاسقام وانقاذ الأجسام من المهالك .

وخلاصة هذه الحادثة ، نقلا عن هيرودوت المؤرخ اليونانى من كتابه الثانى الفصل ١١١ كما يأتى :

« بعد موت سيزوستريس تولى ابنه فيرون ، ولم يتقدم للغزو . وطغى النيل فى أوائل أيامه ، فأغرق كثيراً من البلاد ، واقترن ذلك بعواصف عمومية هيجت اللجج ، ودمرت المبانى ، فاعترته ثورة جنونية ورمى بحربته فى الماء ، فأصاب عينه مرض فجائى وكُفَّ بصره ، واستمر على هذه الحالة عشر سنوات. وفى السنة الحادية عشرة ، بعث اليه الكهنة خطابا يخبرونه فيه بأن مدة عقوبته الالهية على هذه الرعونة قد انقضت ، ويمكنه أن يسترد بصره ، اذا غسل عينيه ببول امرأة لم ينكشف عليها غير زوجها. فامتحن بول زوجته ثم نساء كثيرات ولم يقدر له الشفاء. وبعد اليأس اهتدى أخيراً الى امرأة (من الخاملات الفقيرات) فاغتسل ببولها وتم شفاؤه ، ثم استجمع فى مدينة « أريتروبوليس » كل من امتحنهن وأحرقهن جميعا لا تضاح الريبة فى سلوكهن ، وأبقى تلك المرأة التى كانت سبب شفائه وتزوجها »

فالافراط فى العقيدة أساغ له الاستفادة ببول امرأة تحلت نفسيتها بكل معانى الطهر والعفاف ، فاقترن بها بعد احراق زوجته ، ومن كن على اتصال بها فى قصره ، ايثاراً منه لفخر الانتصار للفضيلة على كل مجاملة يراعيها غيره فى توقيع العقوبات الزاجرة ، لأن وجهة الحض على الصالح فى صيانة العفاف العام ، افضل بكثير من الانقياد لسخافة المجاملة .

فساد المرأة يهدر حياتها

أوقصة الأخوين

مهما بلغت المرأة الفاضلة من فضائل التهذيب ومحاسن التعليم النافع ، ومهما وصلت استنارتها بالمبادئ الرشيدة ، واستفادتها من الوسط الصالح بمزايا التقوى والاستقامة ، فان طبيعتها الأخرى فى الخلقة النوعية المستعدة بتكوينها لأعمال الشرور والفساد ، لا تنزجر عن هذه النقائص بما تعلمه ، وتراه عن سجايا غيرها التى تقابلها الجماهير بالثناء والارتياح ، بل اذا وجدت بيئة صالحة للشذوذ عن جادة الصواب شذت عن الفضيلة واتبعت هواها .

وهذا الفريق الشاذ لا يقدح فى كرامة الفريق الأول ، ولا ينقص من قدر المباهاة بطهارته ونزاهته .

بل كأنما أسرار المقادير جعلت الكون يشمل المتناقضات ، ليكون الفريق الجدير بالاحترام أكثر وضوحا فى الاعتراف له بالنزاهة والكرامة ، وأحقية الاقتداء به ، وتحتيم النفور عن الفريق المزدرى ، الذى تقابله الاذواق القويمة بالاحتقار وتتوعده الشرائع بالانتقام . ومن هنا جاء المثل السائر : (و بضدها تتميز الاشياء)

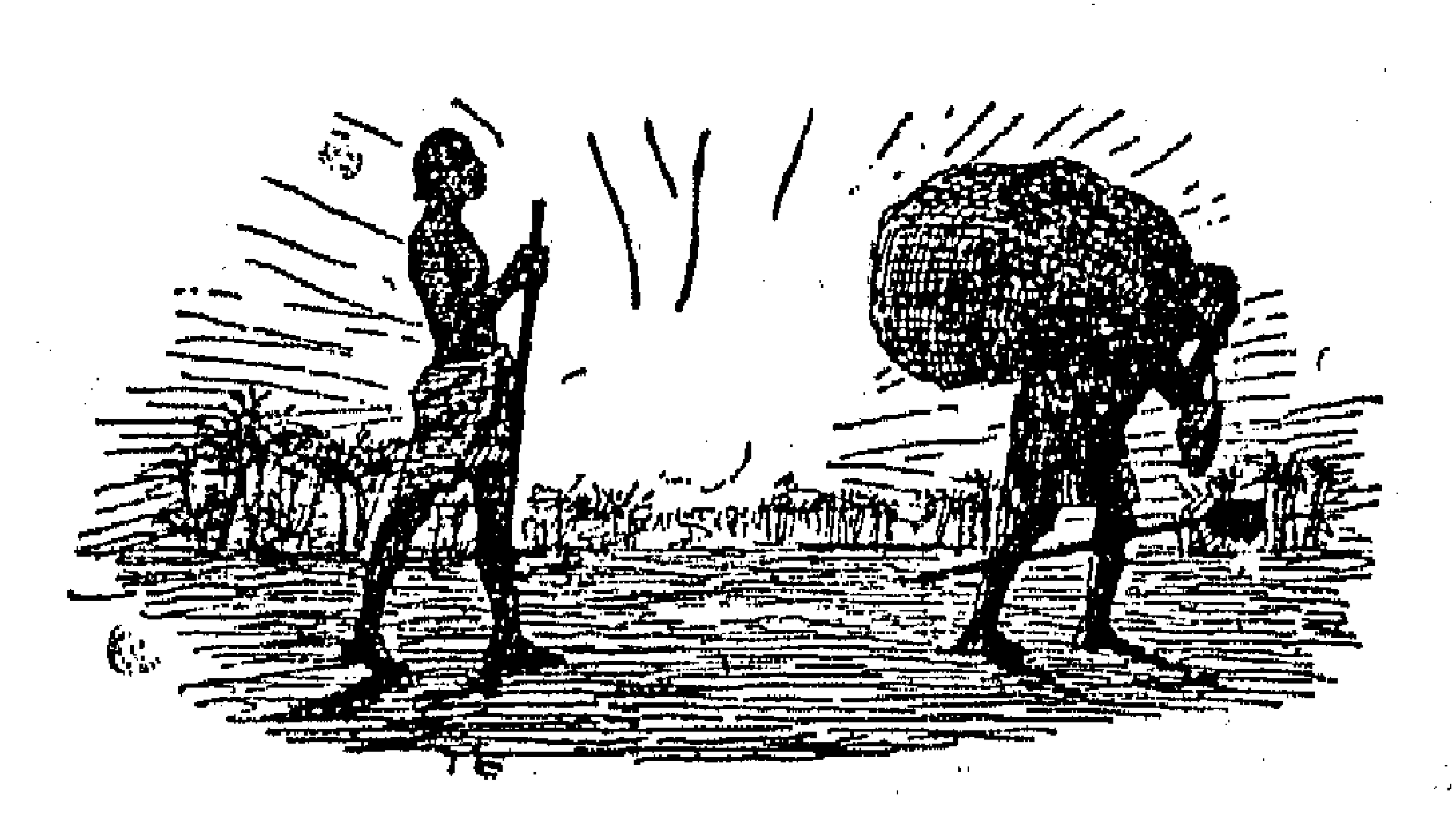
ومن الاقاصيص التاريخية التى هى برهان ساطع على الحقائق التى لا تتغير فى مختلف الازمنة الماضية والحاضرة ما نشر فى ورقة بردية اشترتها السيدة (أور بينى) بمبلغ وافر ، وهى مكتوبة بالخط الهيراطيقى ، ثم باعتها الى المتحف البريطانى سنة ١٨٥٣ ، وتاريخها منذ ٣٠٠٠ سنة . ولأهميتها اعتنى بترجمتها إلى لغات كثيرة أفاضل الكتاب الحريصين على اذاعة وتداول القواعد الأخلاقية الأدبية

المنشورة فى هذه الورقة . ومن محتوياتها قصة الاخوين وخلاصتها :

***

كان أخوان شقيقان أكبرهما اسمه (أنوبو) وأصغرهما (بوتو) وكانا يشتغلان فى الاعمال الزراعية ، واستخراج كنوز الأرض بواسطة مجهوداتهما وخبرتهما الفنية .

وبحكم العاطفة العائلية ، كان الاخ الأكبر يؤوى معه فى معيشته أخاه الاصغر ويعامله كابنه ، وزوجة الاكبر لاحساسها من زوجها بهذه العاطفة كانت تعتبر الاخ الصغير كابن لها ، واستمرت عائلتهم على هذا الارتباط والتآلف والقناعة من هذه الدنيا ، بما يحصلان عليه من ثمرة الكد والترتيب والاقتصاد فى المعيشة .



يذهب أنوبو وأخوه بوتو الى الغيط (نقلا عن بترى)

وبينما الاخوان فى أرض الزراعة ، طلب الاكبر من الأصغر التوجه الى منزلهما فى القرية ، ليستحضر له بعض التقاوى المدخرة لزراعة أرضهما ، فتوجه الاخ الاصغر الى منزلهم ، وبدخوله الغرف ، رأى زوجة أخيه مشتغلة فى تزيين شعرها كعادة النساء الريفيات وقت الفضاء من أشغال المنازل . ولما سألته عن سبب حضوره مبكراً عن الوقت المعتاد ، أجابها إن أخاه أرسله ليستحضر له جانبا من التقاوى النقية ، فأمرته بالتوجه الى أحد المخازن الموجودة بها المحاصيل ، ليأخذ بنفسه ما يشاء حتى لا يعطل عليها إتمام الزينة لشعرها وثيابها .



زوجة انوبو تداعب (بوتو) وهو خارج من مخزن الغلال

(نقلا عن بترى)

فتوجه هذا الاخ الخاضع الى حيث أمرته امرأة أخيه ، واستحضر حقيبة وملأها من تقاوى الحبوب المطلوبة . ولما همّ بالخروج من المخزن ، لحقت به وسألته فأخبرها بكمية التقاوى وهى ثلاثة أكيال من الشعير وكيلان من القمح . وهنا لم تقف معه فى الحديث الى هذه النقطة ، بل ابتدأت على غير عادتها فى توجيه عبارات المداعبة مثل قولها إنه تام العضلات ، حسن الخلقة ، وافر القوة ، نشيط فى كل شئ وقولها أننى أتمنى الاستفادة من نشاطك لنجلس معا بقدر ما يسمح الوقت وأبيح لك منى ما يشتاقه الشاب مثلك ، وانى مستعدة لان أصنع لك كثيراً من الثياب الانيقة دلالة على ميلى اليك ، وأوكد لك بأنى أكتم عن أخيك كل شئ بحيث لا يعلم أى حركة مما أدعوك اليه ولا بما يستمر بيننا فى المستقبل .



يرجع بوتو من الغيط فى المساء حاملا أدوت الزراعة

(نقلا عن بترى)

عندما سمع الاخ الصغير منها هذا الكلام السمج الشاذ عن مألوفات سمعه ، المنافى لاعتدال طبعه ، المضاد لامانتها فى حقوق زوجها ، أظهر لها الغضب والاشمئزاز و وبخها بلوم عنيف ، وتركها محتقرا إياها ، آسفا على هذا الجنون ، ووصل الى أخيه فى المزرعة ، واستمر فى أعماله اليومية حتى اقترب وقت الغروب ، فانصرف الاخ الاكبر الى القرية ، واستمر الاصغر فى جمع الماشية وأدوات الزراعة ليرجع بها الى اسطبل المنزل كطريقتهم المعتادة ، ولم يجعل لتلك الحادثة أثرا فى نفسه واصرّ على كتمانها عن أخيه ، حتى لا تتكدر الصلة العائلية .

استمر الأخ الصغير على هذه السريرة الطاهرة فى نفسه ، ولم يعلم بما دبرته له زوجة أخيه الأكبر من الكيد و إيقاعه فى الهلاك . فانها بعد مبارحته اياها ، قامت فى نفسها الهواجس ، وظنت أنه يحيط اخاه علما بخيانتها ، فاصطنعت لنفسها دهناً وثيابا غير المألوف فى لبسها الاعتيادى ، وصارت تتظاهر بالتأوه والضجر ، فأظهرت ضعف القوة وآلاما جسدية حتى أتى زوجها من الغيط ، فلم

تستقبله بالبشاشة ولا الحفاوة المعتادة بينهما ، ورأى البيت مظلما ومصابيحه لم توقد ، فذهب الى مضجعها على هـذه الحالة مستدلا بالصوت والتأوه على مجلسها حتى وصل اليها وابتدأ يناقشها فى مخالفتها للعادة المتبعة .



يرجع انوبو الى منزله فيجده مظلما

(نقلا عن بترى)

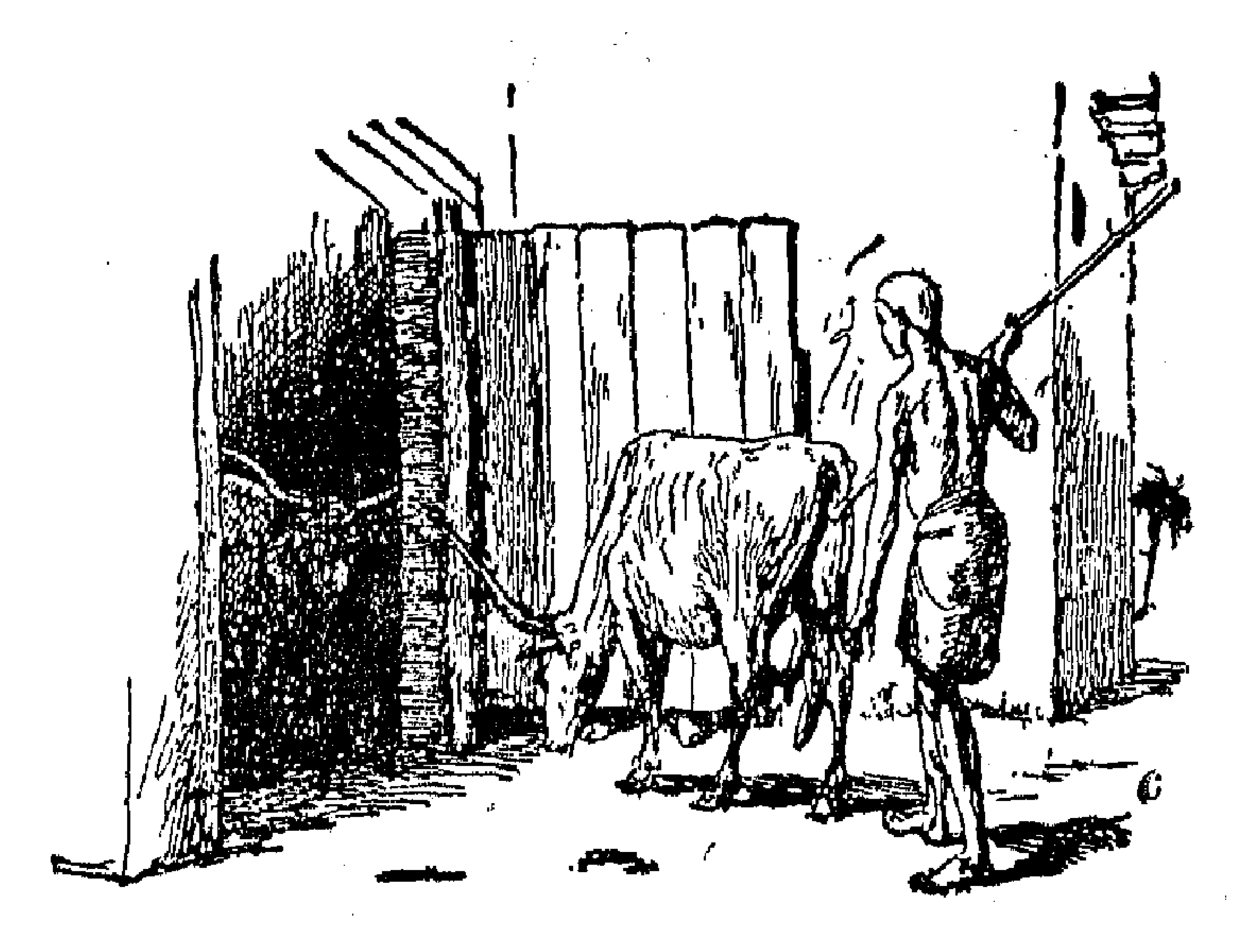
عند ذلك نهضت من رقادها ، وقصت عليه ما أثارغضبه ضد أخيه ، وافترت عليه أنه راودها عن نفسها ، فامتنعت وو بختته وهى لا ترضى الاقامة على هذه الاهانة ، ومس الكرامة من شاب صغير ، كانت تعامله بحنان الأم على طفلها وطلبت الانتقام لها منـه ، حتى تأمن على عيشتها معه بطمأنينة وصفاء ، وإن لم يبادر الى ذلك ، فلا محيص لها من الانتحار تخلصا من العار .

لم يتمالك الزوج من غضبه ، عندما سمع منها هذا البهتان ، واعتقد صدق روايتها ، وامتلأ حقداً وغضبا على أخيه ، ووقف متربصا له خلف باب الدار العمومى ، و بيده سكين ذات حدين ليطعنه بها عند دخوله .

فى هـذه اللحظة قدم الأخ الأصغر ، ومعه الماشية والادوات الزراعيـة ، وأحمالا من البرسيم على بعض الابقار ، وعنـد اقترابه من الدار ، التفتت اليه

إحدى البقوات ، وأخبرته بان أخاه يريد به الشر ، إرضاء لزوجته فى نكايتها ، ثم أخبرته بقرة ثانية بهذا الخبر المزعج .

لم يكن للاخ المسكين بدٌّ من التأمل فى الامر . فبينما هو ينظر الى حوش الدار رأى أقدام أخيه بارزة خلف الباب ، والاخ الاكبر مختبئا خلفه بالتربص التام للفتك به .

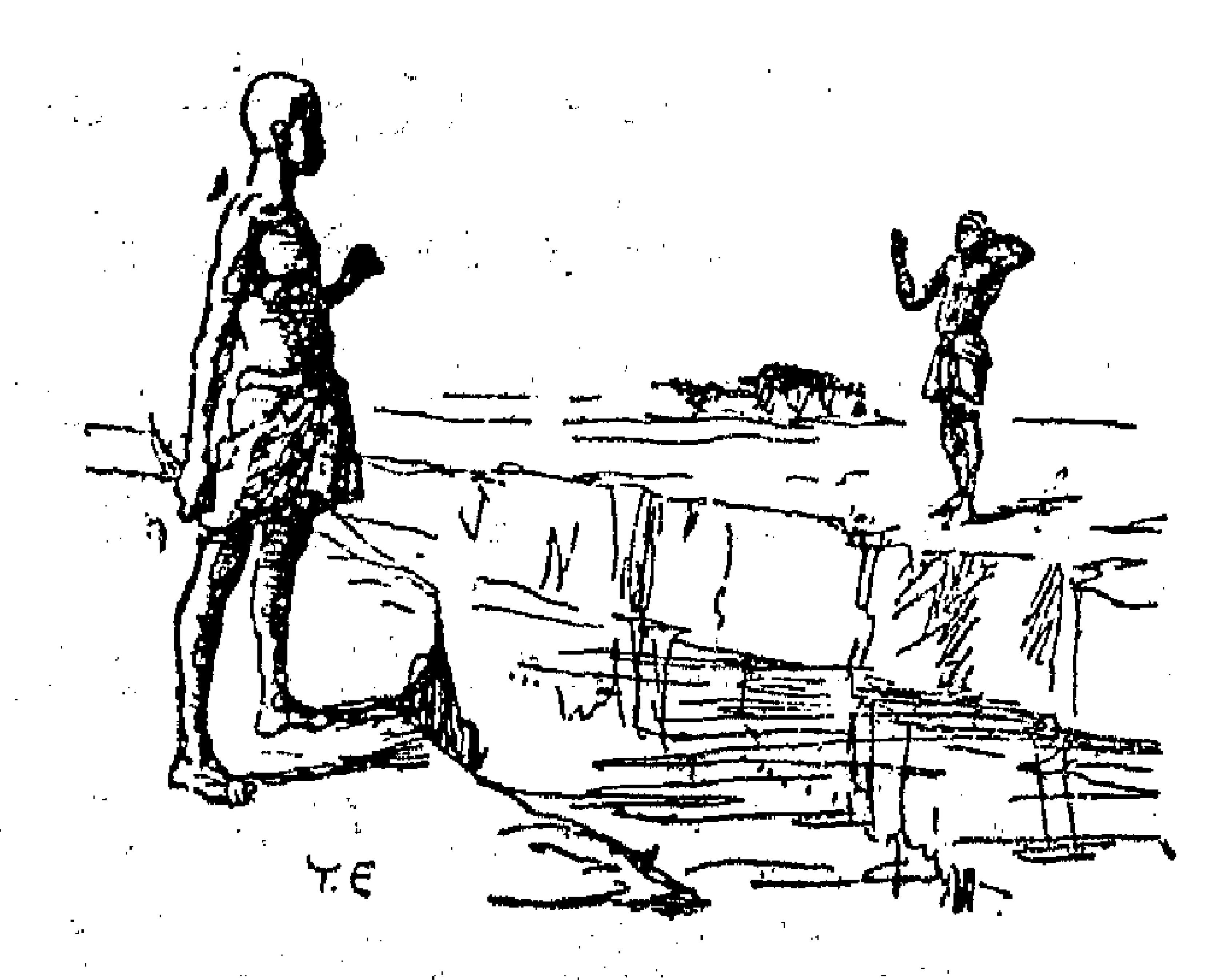


يعود بوتو الى منزله ومعه المواشى وينتظره انوبو خلف الباب

(نقلا عن بترى)

عند ذلك هرول الأخ الاصغر للهرب ، فتبعه أخوه الاكبر شاهراً السكين بيده ، فازداد الاصغر سرعة فى الخطوات ، حتى وصلا الى بعض أماكن الفضاء البعيدة عن البلد .

ولما أحس بأن أخاه كاد يلحقه رفع بصره الى السماء ، وصار يستغيث بالآله (فـرع حرمخيس) وقد أجيب دعاء هذا المسكين . صار الفضاء بينهما بحراً مملوأً بالتماسيح . وهنا استطاع المظلوم أن يطلب من أخيه المبيت فى موقعهما ، يفصل بينهما البحر المذكور حتى طلعت الشمس ، وعندها شرح المظلوم قصته لأخيه مستشهداً بعدل الاله الذى أغاثه مبدئيا بايجاد البحر والتماسيح ليكف عنه أذاه



يفصل البحر بين الاخوين أنوبو وبوتو

(نقلا عن بترى)

فأذعن أخوه لكلماته ، وأقسم الاصغر لاخيه أنه لن يعود الى معاشرته ، لانه صدق وشاية زوجته ، ولم يستجو به عنها ، وأراد التسرع فى قتله مرضاة لها .

ثم تناول الأخ الاصغر منجلا ، وقطع به إحليله ، والقاه فى البحر ، فابتلعه حوت ، كأنما كان واقفا لذلك بالمرصاد ، وهنا كأنما أغمى على الأخ الاصغر . ولما أفاق ، أقسم لأخيه أنه سيترك الدنيا بحذافيرها لمن فيها ، ليستريح من عالم الشقاء وسفالة الأشرار .

فالأخ الأكبر لما رأى أخاه على هذه الحالة ، وأنه لم يستطع الوصول اليه فى الشاطئ الآخر لأمتلاء الفضاء بالبحر والتماسيح ، أسف حيث لا ينفع الاسف . وهنا استطاع الأخ الاصغر توجيه اللوم الى أخيه الأكبر ، وطلب منه الالتفات لاحواله ، وحذره من الأنقياد لوشاية النساء ، وأمره بالذهاب الى داره ثم فارقت الروح الاخ الاصغر ، والتحق الاخ الاكبر بداره ، وقابل زوجته وقص عليها التفاصيل التى لم تستطع إنكارها ، ثم أغمد فيها الخنجر الذى كان أعده لقتل أخيه ، وقطع جثتها أجزاء ، وأطعمها للكلاب لان الزوجة الخائنة لا تستحق الكرامة بالدفن .

وهنا أحاق المكر السيء باهله ، ومات الاخ الصغير شهيد البهتان ، وحل بالزوجة انتقام زوجها العادل ، ونطق لسان الوجود بان « على الباغى تدور الدوائر »

فالمرأة التي تسفلت فى النقيصة الى هذه الدرجة ، تسببت فى ان انسانا بريئا جنى على نفسه بالموت ، تخلصا من شقاء الحياة ، وتسببت فى خراب بيت زوجها ، وعرضت نفسها للهلاك التام ، ولولا ميلها لنقيصة الزنا وخيانة الامانة الزوجية ، لما لحق بها شيء مما جلبته بيدها على نفسها .

وبهذا تؤثر المواعظ وتتقبلها الاذهان بالارتياح .

المقارنة
بين المرأة الفرعونية والمرأة المتفرعنة

أدرك القارئ من التفاصيل التى أوردناها (إما نقلا عن النصوص المنزلة ، والامثال الحكيمة المأثورة عن رجال التربية ، وكبار الفلاسفة ، وروايات الامثال والمواعظ) أن المرأة الفرعونية فى عصر الملوك العادلين ، كانت موضع التجلة والاحترام ، ومحل العناية والتوقير ، لاتصافها بالاستقامة والعفة ، والامانة العامة وطهارة الاخلاق ، وأنها كانت بسجاياها عضداً نافعاً فى المجتمع ، تأصلت فى نفسها البغضاء للمزريات فلا تقترفها ، بل تنهى الغير عن الميل اليها ، وبذلك كان للحياء والاحتشام رادع مؤثر لقوة العناية من الهيئة الحاكمة فى عصر الفراعنة بالمحافظة على الآداب ، محافظة يتلقاها الخلف عن السلف ، تلقيا باذعان وامتثال يصون الثروة ، ويحفظ النسل ويمنع المضار الجسدية . وكل ذلك من دواعى

الهناء والغبطة والسعادة للامم . فالمرأة الفرعونية فى تلك الادوار آثارها المحسوسة والصلاحية للارشاد ، والامومة الصادقة المتشبعة بالكمالات ، الحريصة على الفضيلة فكانت طبقات الفضليات بتوالى العصور ، حصنا منيعا لعزة الوطن واستقلال الامة واعتدال الهيئة الحاكمة فى تصرفاتها ، حتى بهذه الدوافع حفظوا ملكهم آلافا من السنين ، تقدمت فيها الصناعة والحضارة ، والمدنية الصحيحة والرفاهية المقترنة بازدياد الرغد ونماء الثروة . فكان الحاكم عونا للمحكوم ، والثقة القلبية بين الفريقين كانت عوامل متحدة لسعادة الامة وخلود الملك مكينا عزيزاً .

أما المرأة المتفرعنة التى نشأت فى عصور الانحطاط ، وظهور البهرجة والتوسع فى التقاليد الاجنبية ، والعادات الممقوتة ، والتفنن فى السخافة والملاهى والتبذير وانعدام الحياء ، وفقدان التربية العائلية . فبانعكاس الاخلاق وسوء البيئة ، تعد معولا لهدم الحضارة ، وانهيار كيان الرقى ، وأداة لتمهيد المهلكات ، وإساغة النقائص ، وبث المفاسد ، فتلوثت النفوس واندفعت الطبائع الى الشرور ، وهى فى الأصل أقرب إليها ، فزادت فى أساليبها ، واستباحت إتيان المنكرات . وبعد إن كانت تعد مرذولة لا تقع إلا فى استتار ، ولو فى قمم الجبال واقاصى الاطراف ، اتخذت من ضروب المباهاة ، وسهل الاستهواء اليها ، حتى صارت البهرجة الحديثة كمشكاة تلفت الابصار الى الرذائل ، وتحض على النقائص أقواما قضوا معظم حياتهم فى التباعد عنها ما استطاعوا .

بهذا الانقلاب الخلقى وتغاضى الهيئات الحكومية عن مضاره وسوء عواقبه اندفعت الفجار والاسافل الى تحسين كل قبيح ، وتشويق كل غافل الى التطورات السيئة ، فاجترأت الجماهير على سلوك الفساد ، وصاروا أسبق من الشياطين فى الدعاء الى كل ضلالة ، وبذلك استطاع الجهال بالوقاحة والتشرد النفسى أن يصموا أسماعهم عن دواعى الزجر ونصائح الارشاد ، ولم يقفوا عند

ذلك ، بل أقاموا أنفسهم حجر عثرة فى سبيل من يسعى الى تقويم العوج ، وأمن المضلون على أنفسهم من العقوبات الرادعة ، لأن الهيئات السابقة أصيبت بما أصيب به المجتمع ، وصار الفساد كطوفان يعم المدن والأودية .

طال من الهيئة الحاكمة الاغضاء عن اقامة الحدود والتأديبات التى كفلت فى الاجيال الماضية استقامة الاحوال ، حتى بلغ منها الخطأ جعل الزنا مهنة عامة كبعض المهنات المتخذة لالتماس الرزق .

أدى ذلك الى فقدان رمق الحياء الضئيل من النفوس ، واستخفاف الفجار بكل شئ . وأغرب ما فى هذا السبيل المنكر ، وضع نظام لتأمين الزناة فى فجورهم من انتشار الامراض المعدية الفتاكة فى الاجسام ، التى كأنما جاءت بها الطبيعة لتكون زاجراً ونذيراً ، لمن أهملوا نظامات الشرائع التى كانت تعد الزنا من أفحش الجرائم وأشنع الموبقات .

المرأة التى أنغمست فى هذه الرذائل بحكم الانوثة ، و بضعف إرادتها انقادت لوسائل الفساد ، وصارت كالريشة تتلاعب بها الرياح فى كل ممر .

هنا استطاب الاشرار تلك المراتع ، وتمادوا فى المزيد منها باساليب الملاهى والمسارح ، وصارت الفتيات تبدأ بالعكوف عليها قبل التفكر فيما هى أشد حاجة اليه لتكون فى المستقبل القويم عماداً للعائلة ، والقيام بالشؤون المنزلية ، وصيانة الفتيان والفتيات من المخازى المستقبحة لذاتها ، حتى رأينا النشئ الحديث يسبق فى ميادين الملاهى ، طوائف المتخذين سلوكها بابا لارتزاقهم ، فانتشرت فى القوم العادات الشائنة ما بين اشتياق نفسى اليها ، و بين من يتخذونها سبيلا لاقتناص كل شاردة .

بهذه المقارنة وحدها يمكن للعاقل المنصف الاعتقاد الجازم بافضلية العصور الاولى مع ما كان يفتريه عليها المؤرخون من الخشونة والشدة عن عصور المدنية

المزيفة التى عمت بلواها فى أقصر زمن ، وقاومت بانتشارها كل رمق لـكمال الاخلاق وصيانة الآداب .

وصارت المرأة المتفرعنة (وهى تدرك مضار السيطرة الاجنبية على البلاد) سلاحا يستعمله الخصوم بما استطاعوا من الوسائل لازدياد اضمحلال الوطن ، وفقد الامة ثروتها ، وخمول الاشخاص العاملين ، وانعدام الشجاعة من النفوس بالتفانى الذميم فى البهارج الحديثة والزخارف المستنزفة للاموال من سائر الطبقات .

فلم تستطع المرأة المتفرعنة بعد سقوطها فى هذا الهوان أن تـكون أما صالحة لتهذيب ابنائها ، ولتعويدهم الحياة السعيدة ، والتأهب لاجتناء الثمرات التى احتكرها الغير فى بلادنا بقدر ما أحس فينا من التلاشى والتباغض ، كأن تلك الزخارف التى بها عميت أبصارنا ، والبهارج التى هامت فيها نفوسنا ، هى كل مجد الحياة عندها وعليها تنحصر مواردالسعادة فى ذوقها . فياسوء ما جاءت به الحال ، وما تهددنا به فى ظلام المآل ، ونـكد الاستقبال .

أسباب البغاء

يقولون إن الفاقة من الاسباب الملجئة لانتشار البغاء ، وسقوط الفتيات فى مهالـكه ، إما طلبا للرزق أو لتجارى الفتاة الساقطة (فى الزخارف والملابس) من يسول لها الجهل الاقتداء بها فى الزهو والخيلاء ، لان حب التقليد قـد يعمى المصابين به عن القناعة من الحياة بالميسور . ومن هنا جاء المثل : بأن شهوانيات النفس وأميالها الـكامنة ، تتغلب على الفطرة القويمة بقهر التسلط بالاسترسال والانهماك .

والرأى الصواب أن المرأة السافلة التى لهوانهـا تقبل أن تـكون إناء لـكل

والغ ، يجب أن يقنعها الأحساس بانتهاج سبيل غير البغاء تنال بها الرزق اللائق بامثالها ، فان لم يزجرها تيقظ الاحساس تولت زجرها الرقابة الحكومية العادلة .

ومما يساعد على انتشار البغاء سوء التربية، لان الطرفين السافلين من الفتيات والفتيان ، اذا نشئا فى بيئة منحطة ، لا تعرف التهذيب الزاجر عن النقائص ، وتكون نفسيتهما مرتعا للفساد . فمن الواضح أن للنشأة العائلية التأثير الظاهر فى أفعال الخير والشر .

كما أن سوء الاختلاط بالشواذ بين طبقات العمال ومن فى حكمهم ، والذين تلجئهم ضرورة الإقتصاد فى المعيشة للسكن باماكن حقيرة ، يجتمع فى غرفها الضيقة أفراد كثيرون مع تفاوتهم فى الأخلاق والعادات والأعمار ، كل ذلك يؤدى للاستهتار بالصيانة والآداب ، فتصبح وقاحة التخاطب والمعاشرة الفاسدة طبيعية لازمة ، ومثل هؤلاء يعدون الاندفاع فى الحالة البهيمية أمراً لا حرج منه . وبعد ان يكون ذلك فى أفراد قلائل ببعض الأحياء تسرى عدواه الى الأقرب فالأقرب من المجتمعات المماثلة ، فتنشر الرذائل ولا يوجد بين المنغمسين فيها زاجر أو رادع ، لأنهم نشأوا على الجهالة ، وأستحسنوا كل ما تؤدى اليه ، وضعف إشراف الهيئة المهيمنة على هذه الطبقات فيما يقع منها تحت ستار ، لا يوصل الى الاقلاع عن المساوى .

ويدخل فى هذه المحظورات تهاون بعض العائلات فى مضاجع أبنائهم الصغار والكبار ، وتركهم ينامون بمكان واحد ، تختلط فيه كل الاعضاء بلا حجاب ولا وقاية ، وكثيراً ما تؤدى الملامسة غير المقصودة فى بادئ الأمر الى تعمدها ، والتدرج فيها الى ما بعدها . وتغاضى الآباء والأمهات عن ذلك يمكن الفريقين بعد تلوثهما وأنغماسهما فى ذلك من الاستدامة عليه ، بعكس مالو كانوا بمعزل عنه . (وهنا ندرك حكمة القول بان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) . فمن كمال الصيانة

والتهذيب للأطفال ، والمراهقين أن يكون الأبناء فى مضاجعهم منعزلين عن أخواتهم البنات ، كما يجب إبعـاد الأبناء الـكبار عن أخوتهم الصغار لغرس الاحتشام بين الطرفين ، الذى هو ألزم الصفات الواجبـة لوقار العائلة واستقامة أفرادها .

ومن المفاسـد الأخلاقيه إطلاق العنان للاطفال ، يترددون فى الشوارع والمجتمعات ، وأماكن اللهو والمسارح ونحوها بدون رقيب يستطيع الارشاد والزجر ، لأن سن الطفولة وما فى حكمها يحبب للاطفال التهافت على كل شئ سواء كان ضاراً أو نافعاً ، وفى الغالب يوجد للفجور فى هذه المجتمعات أسباب تشوق اليه ، فالأطفال كالسائمة إن لم تجـد من يزجرها عن المرعى ، أفرطت فى التهام الحشائش حتى تقتلها التخمة ، أو تجعل أجسامها على الدوام ضعيفة سقيمة ويحسن أن لايتهاون الآباء والأمهات فى ذلك . وعندما توجد ضرورة قصوى للاستعانة فى مراقبة الاطفال بخدام أو خادمات ، يتعين انتقاؤهم من أفرادهم أهل للامانة وللاعتماد عليهم . فـكثيراً ما تولدت باغلاط الخدم أمراض عائلية كبرى ، كان الموت لذويها خيراً من الحياة . ودقة المراقبة يجب أن تـكون شديدة فى الاوقات المعتادة للفراغ من العمل، أوشهور المسامحة فى المدارس، أوأسابيع المواسم والاعياد، وأوقات خروج الطلبة من المدارس الى منازل أهليهم ، فـكل هذه الظروف من السوانح المساعدة على تبادل المواعيد ، والاجتماعات المفسدة والمقابلات الشائنة ، وعهد الطفولة والشبيبة كما قدمنا هو المرتع الخصيب للمفاسد إن لم يوجد من يتعهد المرعى من العبث والاعتداء .

ومن الوسائل التى يقل فى الناس الالتفات اليها عدم التخير فى المجتمعات وانتخاب ما يكون منها بعيداً عن الشبهات والعدوى السيئة ، وسواء فى ذلك المسارح والقهاوى والفنادق العمومية ، وكل ما هو فى حكم المحال العمومية التى

يستطيع فيها الاسافل الاستعانة بالخدم ومن فى حكمهم على تسهيل أغراضهم بأى وسيلة .

وكثير من الفتيات بعد أن يخدعها المتشردون ، أو ممن يتظاهرون بخطبة صادقة شرعية من الشبان تنخدع بتأكيد أحدهم لها برغبته فى زواجها ، فتبيح له منها ما أراد ، على اعتقاد استمرار الصلة بينهما ؛ وأن عقد الزوجية المجزوم به عندها (متى حصل) يمحو كل ما تقدمه . فبعد أن تقع فى شباك هذا المحتال ، ويظهر من هذا الاختلاط حمل مستكن ، يتنحى عنها الخادع الخائن ، وهى لا تجد أمامها بابا تتقى به النقمة من ذويها ، إلا باندماجها فى طائفة البغايا ، فيكون هذا الجانى الشرير أفسدها أولا ، وعرضها ثانيا لسوء الحال طول حياتها ، وهذه جريمة يجب أن يفطن اليها التشريع ، ويقرر فى شأنها العقوبات الزاجرة ، لان قطاع الطريق وسلبة الأموال ، ليسوا أشد ضرراً على الأمن العام من فظائعه .

وكذلك يوجد الخطأ البالغ فى إفساد أخلاق الفتيان والفتيات فى عهد الصبا ، بواسطة بعض أرباب المحلات التجارية الكبيرة فى المدن ، الذين يقبلون فى خدمة محلاتهم بعض البنات ، ولا يلبثن بضعف الارادة ، أن يتخذهن الخلطاء من المشتغلين معهن فى المحل متاعا مباحا ، ويتخذون من رابطة المكان التجارى ستاراً للابصار عن إدراك الطويات السافلة ، ولا تلبث هذه الحالة أن يظهر مستورها ، فتفر ذات الحمل الثقيل الى أماكن الخزى ، وتلحق نفسها بطائفة البغايا ، وأولئك يجب أن لا يكون للحكومة عطف عليهم ، وأن توجب على أرباب هذه المتاجر ملاحظة العمال فيها لمنع الاقدام على الأخلال بالآداب ، وتعريض الضعيفات الارادة لمهلكات كن فى بدء حياتهن ينفرن منها ، وباستغواء الخلطاء تسبق عليهن الاقدار بالوقوع فى أشد الفضائح .

ومن وسائط السوء فى هذا العصر انتشار طوائف ذات ظواهر مزينة ما بين

خاطبات وخائطات ومطربات وسماسرة ؛ و بعضهم ينتحل صفات للمعالجة الخاصة بالسيدات . فأصحاب الاحتيال تحت ستار هذه المهن ، يجتذبن الى منازلهن التى هى مواطن فساد كثيرا من النساء والفتيات الناشئات على طهارة النفس وحسن الظن ، و بكثرة التردد يؤثر عليهن أصحابها تدريجيا ، حتى تألف الجاهلة الوقوع فى نخاخ المنازل السرية ، ثم تجرأ بعد ولوجها بهذا الميدان على الانضمام الى البغايا ، والتشريع المصرى ليس فيه الاحتياط الكافى لتوقيع العقوبات على أمثالهن ، فى إستعمالهن ظروف الاحتيال وافساد العائلات ،والواجب ان يضاف الى قانون العقوبات المصرى نصوص لعقابهن ، ولو بالمبادئ المقررة لجرائم إفساد الاخلاق مع التشديد فى الاحكام .

ومما لوحظ ان الجهات التى يستقر بها بعض الجيوش ، الذين هم بحكم النظام العسكرى ، يقضون أيامهم بعيدين عن عائلاتهم ، فتلجئهم التطورات البهيمية للسعى فى إفساد من يستطعون من البائعات أو الجيران ، متسلحين فى شهوانياتهم بألقابهم الجندية ، التى يجب أن يكون لها من وازع النظام ، والمراقبة القوية زاجر أقوى ، لا أن يستمر الحال فى التغاضى عن وجود أماكن سرية بالقرب من هذه المعسكرات ، تسهل الفساد على ذويه من الطائفتين . والواجب ان يلاحظ تصرف أفراد الجيش فى أحوالهم الشخصية ، حتى لا يكونوا أداة إفساد بدلا من تسميتهم جنوداً حافظين لشرف البلاد وأهلها . فلا يصرح لغير المتزوجين منهم بالاقامة فى مساكن تسكنها عائلات غيرة على الشرف ، فلا يتعرضن بواسطة وجودهم الى أسواء العواقب ، والحوادث على ذلك أكثر من أن تحصى .



نتائج البغاء

دلت المشاهدات العمومية على أن البغاء ، كما أنه مستنكر فى الديانات والأذواق القويمة ، فهو أيضاً مضاد لنمو الانسان ، و يؤدى الى نقص فى المواليد وازدياد فى الوفيات .

فالعاهرة التى أقامت نفسها وعاء لكل والغ ، تلجئها مذلة المهنة عند احساسها بالحمل الى وسائل الاجهاض ، فتقتل الجنين وهو لا ذنب له ، وتعرض نفسها للمخاطر الجسمانية ، وتشوبه شبيبتها التى لا تلبث بعد نضارتها ، أن تكون كمناظر الحشرات ، تشمئز منها العيون أضعاف ما تستنكرها الرذائل المنغمسة فيها .

وقد لاحظت بعض الدول أن الأقاليم التى أطلق فيها العنان الى الزناة ، كاد ينقرض منها النسل بالسبب المتقدم . ولكون البعض من البغايا تتخذ الوسائل السيئة ، لتجعل الرحم عقيما حتى لا يعوقها الحمل عن استدرار الأموال من الفجار ، فأيقظت هذه الحوادث حكومة تلك البلاد ، وأسرعت فى وضع النظامات للزجر عن البغاء وعن هذا الاحتيال ، حرصا عن نمو النسل الذى هو القوة المكونة للشعوب وقوة الدول ، والحكومات تفتخر بكثرة الشعب لتتخذ منه حاجتها فى إعداد الجيوش ، والقيام بالصنائع والمساعدة لتقدم المدنية وارتقاء العمران . فاذا كان الشعب يتلاشى بانتشار البغاء ، أو بتسلط الاوبئة ونحوها فالهيئة الحاكمة قياما بواجبها تسرع لاتخاذ أسباب الوقاية والطمأنينة على كيانها ، إذ لا عمران للبلدان والممالك إلا بكثرة شعوبها ، وتفننها فى احتياجات التطور العمرانى .

وقد لاحظ بعض الأطباء باحصاآته الفنية ، أن المرأة البغى بانهما كها فى

هذه الرذيلة، تعتريها الامراض المعجلة لدمارها فى أقرب وقت . وعند إلمام أى إصابة من الأمراض الخطرة ، لا يطول بها الأمد ، وتتغلب تلك العوارض على حياتها ، فتذهب فريسة الفجور ،وضحية الاضمحلال ، وهما من الأمراض الأليمة فى جسم المجتمع .

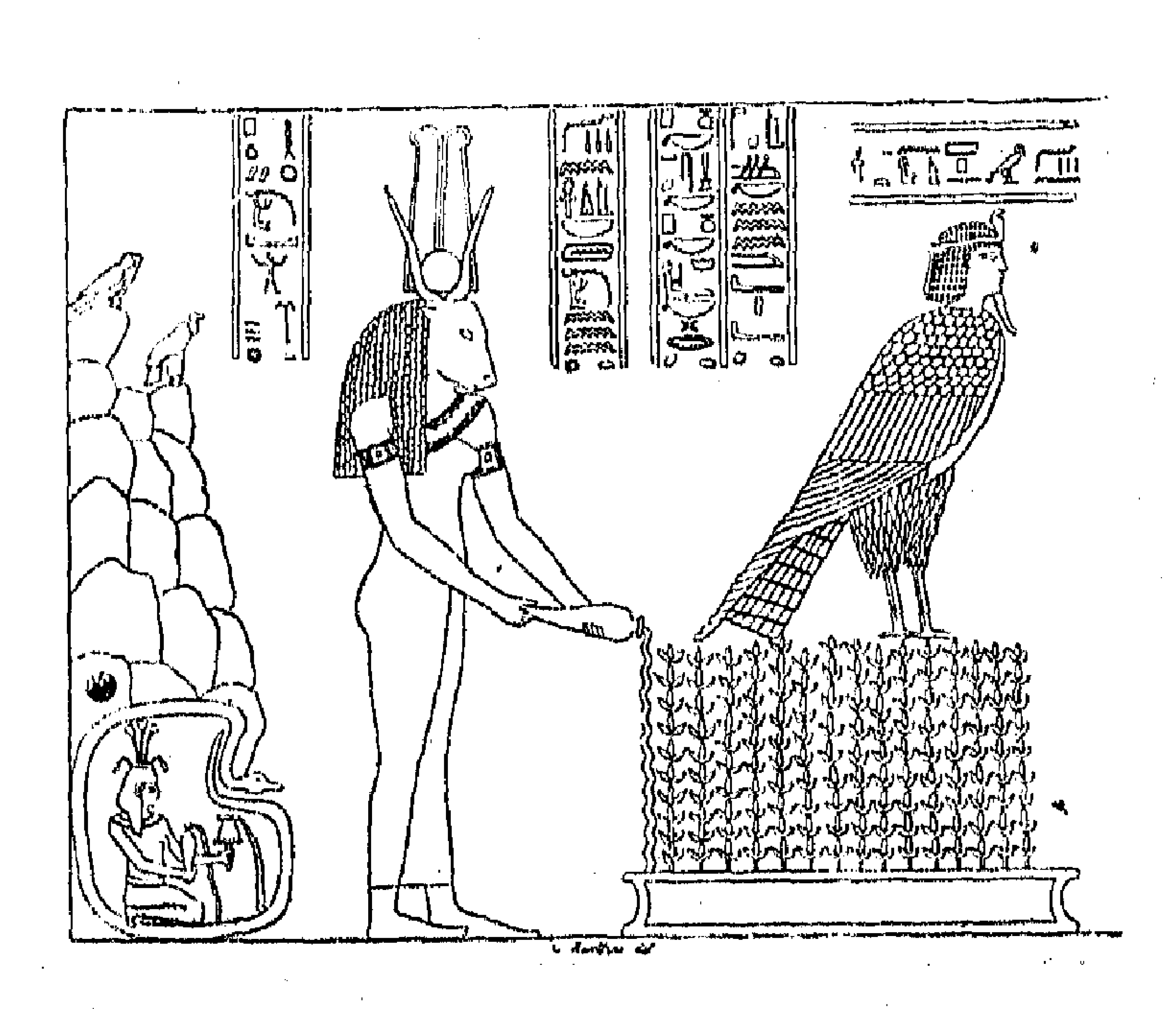
من مضار البغاء انتشار الامراض السرية انتشاراً مزريا بليغا بمن كانوا أبرياء . فكثيراً ما يصاب الفاجر السليم الجسم بالتقاط العدوى من حيث لا يشعر شغفا بامرأة خدعته ثيابها البراقة و زخارفها الظاهرية ، فيمتص جسمه من الجراثيم ما يجعله بؤرة تنتقل منها المهالك إلى الغير وفى الأوائل عائلته ، وكثيراً ما تصاب المرأة بهذه الامراض على غير علم بتماديها أو سقوطها فى الشهوات ، فتظهر عليها بين عشية وضحاها العوارض المنذرة بالهلاك والويل (وغالبا يلحق النساء عار هذه الأمراض أكثر مما يلحق بالرجال) .

والأمراض السرية تنتقل بالملامسة والمجالسة ، وعدم الاحتياط فى نقاوة الملابس ونظافة الأوانى ، بما فيها آنية الشراب ومشتملات الأسرّة ، بل وكثيراً تحدث العدوى بوضع ثياب خاصة بمريض فى الأوانى المخصصة للملابس الاصحاء ، فيصاب أفراد العائلة من حيث لا يشعرون ،وتنتقل العدوى أيضا بواسطة الخادمات أو المراضع اللواتى لهن اتصال كلى بربات البيوت وأطفال العائلات . فسموم كهذه الفتاكة أسرع فى الانتقال ، وفى الضرر من جراثيم الهواء فى أزمان الأوبئة ، فبدلا من مشاهدة الاصابات فى أوائل الأمر قليلة ومحصورة فى طبقة معينة ، تنتشر الى ما بعدها وتصاب المدائن والبلاد بالفتك الذريع ،والكل ذاهل عن الاسباب يتطلب النجاة ، ولا يدرى لها سبيلا ، إلا اذا قضى الله بسكون ذلك الطوفان بعد طغيانه ، فلا ينجو إلا القليل من الناس ، وهيهات هيهات أن تبقى أجسامهم نقية ، بل كثيراً ما تظهر عندهم عودة العوارض فجأة ، وهنا تكون

الطامة الـكبرى .

وشوهد فى بعض الحروب أن الجيوش النظامية تنتشر فيها الامراض السرية بنسبة ٢٥ فى المائة ، وهـذا لسهولة اعتيادهم على البغاء فى أوقات مسامحتهم الاسبوعية .

و يترتب عـلى إباحة البغاء تفنن الجهـلاء فى سبيله والتشجيع عليـه بتناول المخدرات والمشروبات الروحية ، وكثير من الطبقات السافلة لا يجدون من سعة المال لديهم ما يمكنهم ممـا ذكر . فبحكم الاضطرار البهيمى يلجأون الى جرائم السرقات ونحوها وتتبعها إرادة الانتقام من كل فريق ضد الآخر فلا يتأخرون عن القتل وسفك الدماء ، هذا فضلا عن صدور هذه الجرائم من أشخاص يفعلونها لحب الاستحواذ على امرأة ساقطة ، أو لمنع مزاحمة عشاقها لهم ، وأغلب حوادث الاقاليم والمدن أيضا ناطقة بأن مسائل الفجور تؤدى فى كثير من الاحيان الى ارتـكاب الحوادث العدوانية بالانتقام والتشفى أكثر مما يعهد فى أهل البـداوة من جرائم الأخذ بالثأر .



العودة الى اسئلة الحكومة

في بحث موضوع البغاء الرسمي

(١) هل ترون الغاء البغاء الرسمي أو ابقاءه ، وما هي الاسباب التي تبنون عليها رأيكم ؟

(ج) يجب الغاء البغاء الرسمي محافظة على الآداب والصحة ، وطهارة الانساب واجتناب كل حوادث الشرور المترتبة على إباحته .

(٢) في حالة الالغاء ما هي الطرق التي تشيرون بها لمعاملة البغايا المرخص لهن الآن ؟

(ج) البغايا الموجودات الآن الممتهنات بهذه الرذيلة ، لسن نباتا قذفته الرياح الى الجهات ، بل كلهن من عائلات وضيعة أو رفيعة ، وغلب عليهن الشقاء في هذا الهوان ودنست به قومها . فيجب استتابة أمثالهن وتسليمهن لمن يوجد من ذوي القربى لملاحظة حسن سير المرأة أو تزويجها . وفي حالة مخالفتها لنصائح ورغائب العائلة ، تسلم الى أماكن اصلاحية حكومية أشبه بفروع للسجون التأديبية وفيها تباشر بعض الأشغال الصناعية ، وتتعلم منها ما يكفل اقتياتها بالطريق المشروع المتبع في نظام الاصلاحيات للاحداث ، ولاشك في أن العناية بذلك تلجئهن الى صدق التوبة ، واتخاذ المهن الشريفة المساعدة للرزق عند تزوجهن ولو برجال فقراء .

(٣) ما هي الوسائل التي تقترحونها لمكافحة البغاء السري .

(ج) تيقظ الحكومة في مراقبة المحلات المشبوهة ، المساعدة على فساد الأخلاق من أية مهنة ، كالحلاقين الذين يجعلون بدكاكينهم محلات لقص شعور

النساء ، فان التهافت على هذه المحلات استدعاء صريح من جانبها الى النقائص، وكذا بعض الخياطات والمخدمات والخاطبات والسماسرة ، و بالجملة كل مكان يجرؤ أصحابه على اتخاذه محالا للموبقات ، أو للتصيد أو للافساد أو لاخفاء المفسوق بهن أو أي إحتيال يؤدى الى شئ من هذه المفاسد ، ووضع قانون بعقوبات تستأصلها من منابتها ، أى بالحبس مع الشغل مدة لاتقل عن سنة ، حتى تعود الرهبة الحكومية الى عهدها الأول فى الصيانة والتأديب .

وأرباب المهن المذكورة وما فى حكمها ، يجب حصولهم على رخصة رسمية بمزاولة صناعتهم على الوجه الشريف ، حتى بواسطة هذه الرخص والسجلات ، التى تخصص لحصرهم يستطاع افتقادهم ، والخياطات تدون فى سجل عندها أسماء من أدت لهم أعمالا على سبيل الصدفة ، والمعتادين التردد بملبوسات للتفصيل عندها الخ . . . عملا بالنظام المقرر للوكاندات العمومية ، فان ذلك يساعد البوليس فى تحرياته .

وتقرير عقوبات للنساء المتبرجات فى الطرق ، المتجولات فى الأزقة والشوارع لأن فى الحالة المحزنة المتبعة الآن من جانبهن ، أقوى تحريض برغم الشبان للتهافت على المهالك . فكما يعاقب الشاب على التعرض تعاقب المرأة المتبرجة ، لأن تبرجها شباك صائد .

ويسن تشريع بعقاب من يتجاوز خمسا عشرين سنة ولم يتزوج ، مع استطاعته العيش بدرجة أمثاله ، اقتداء ببعض الحكومات التى فرضت ضرائب على العزاب . وعلى الحكومة تسهيلا للزواج : تكليف الأهالى بعدم المغالاة فى « الشوار » ولا فى الصداق ، حتى يستطيع الأواسط تزويج أبنائهم و بناتهم بمراعاة الاستقامة ، والاقتدار على التعيش ، واجتناب التقيد بالثروة ، أو ضخامة الالقاب غير الكافلة للبراءة من المزريات .

تشديد العقاب على كل شاب يبتدئ فى مغازلة النساء ، أو يستميل البنات الى الفساد بوعود عن الزواج ، أو بمخالطة فى المسارح أو اجتماعات فى المتنزهات ، حتى بيقظة الحكومة فى ذلك ، تنتفى الاحوال السيئة ، وتقل الفظائع التى تقشعر الابدان منها الآن .

جعل التبليغ عن كل حادثة ضد الآداب والصيانة حقا عاما على كل فرد ، اقتداء بوجوب التبليغ عن كل جريمة ، لاأن يخصص هذا الحق بالازواج فقط ، كما أنه يجب أن لاتعفى الزانية من العقاب ، اذارضى الزوج بمعاشرتها ، لان استمرار الحال على ذلك من أشد المغريات على الفساد ، وكثيراً مايستعين بعض البغايا بزواج صورى برجال ساقطين من أمثالهم ، للدفاع عنهن عند ضبطهن فى بعض أماكن المنكر ، أو بعد صدور الاحكام عليهن بالادانة ، وعقاب الزوج بالاشغال الشاقة ، اذا أمر زوجته بأن يفسق فيها الغير ، فقد فشت هذه الحالة فى السنوات الاخيرة .

ويحسن بالحكومة فى باب ما تؤديه لصيانة الأمن والآداب العمومية ، تقرير مساعدة لكل انسان فقير ، يرزق بنات أو أولاداً بأكثر مماتسمح بأعالته موارد رزقه ، حتى يبلغوا أشدهم ، فتنتفع بهم فى الاعمال العمومية ، أو تلحقهم بالتجنيد الاختيارى ولا تتركهم عالة على المجتمع ، ولا يكون فقر آبائهم مؤديا بهم لاقتراف الجرائم ، لأن الفقر وسوء التربية يساعدان الجهلاء والفاسدين على الاخلال بالامن

يمنع الاغنياء أعيان الريف من ترك بلادهم ومزارعهم ، ويجبرون على عدم الاعتكاف على الملاهى ، والاسترسال فى الموبقات ، وافساد أخلاق الغير ، بما يبذلونه لوسطاء السوء فى أغراضهم السافلة ، ومن تتكرر منه هذه الموبقات ، يحجر عليه كالذين يوصفون بالعته أوالتبذير ، بدافع العدل الحكومى لصيانة الثروة وحفظ الاخلاق فى مراقبة فعالة .

كثيراً ما تقدم للبوليس بلاغات عن محلات تدار للفحشاء والدعارة ولعدم وضع امضاء المشتكين عليها يضرب عنها صفحا ، طبقا لتعليمات قديمة من الداخلية والحكمدارية ، وأصحاب الشكوى يتحاشون ذكر أسمائهم ، حتى لا يضطهدهم جيران السوء ، خصوصا عند ما تصادفهم أحكام البراءة ، والواجب أن يتقبل البوليس هذه البلاغات ، للتحرى عن صحة ما بها ، وتقديم المدانين فيها للمحاكمة ، وبذلك يأخذ القانون سطوته ، ويأمن الجار شر جيرانه الفجار ، وفى الأمثال المأثورة . كم يؤخذ الجار بذنب الجار .

تقرير مكافأة مالية من الحكومة لرجال البوليس الأمناء ، الذين تقتنع المحاكم بصحة اجراآتهم فى التحريات ؛ وفى التطبيقات القانونية ضد كل فريق يقترف بأى وسيلة ، عملا من شأنه افساد الاخلاق ، أو التستر على الموبقات ، حتى بهذه المكافأة تتشجع نفوس العمال ، وتصير الواجبات القانونية ملكة فى نفوسهم ، ونبراسا لأعمالهم ، وامام ذلك يشدد العقاب على كل من يتهاون فى هذه الواجبات . وفى التقارير السرية عن أمثالهم الشئ الكثير .

ويسن تشريع بأن لا يسكن فى بيوت العائلات أشخاص من العزاب منعا لاحتيال الآخرين فى مآربهم الافسادية .

(٤) ماهى الوسائل التى تقترحونها لتلافى الامراض السرية ؟

(ج) الاكثار من المستشفيات التى تخصص لعلاجها ، ومجازاة كل من تحدث به اصابة ، اذا تأخر فى التبليغ عنها ، ليستطيع الطب إيقاف الأمراض فى أوائلها وتخف عن المجتمع عوارضها ومضارها السيئة .

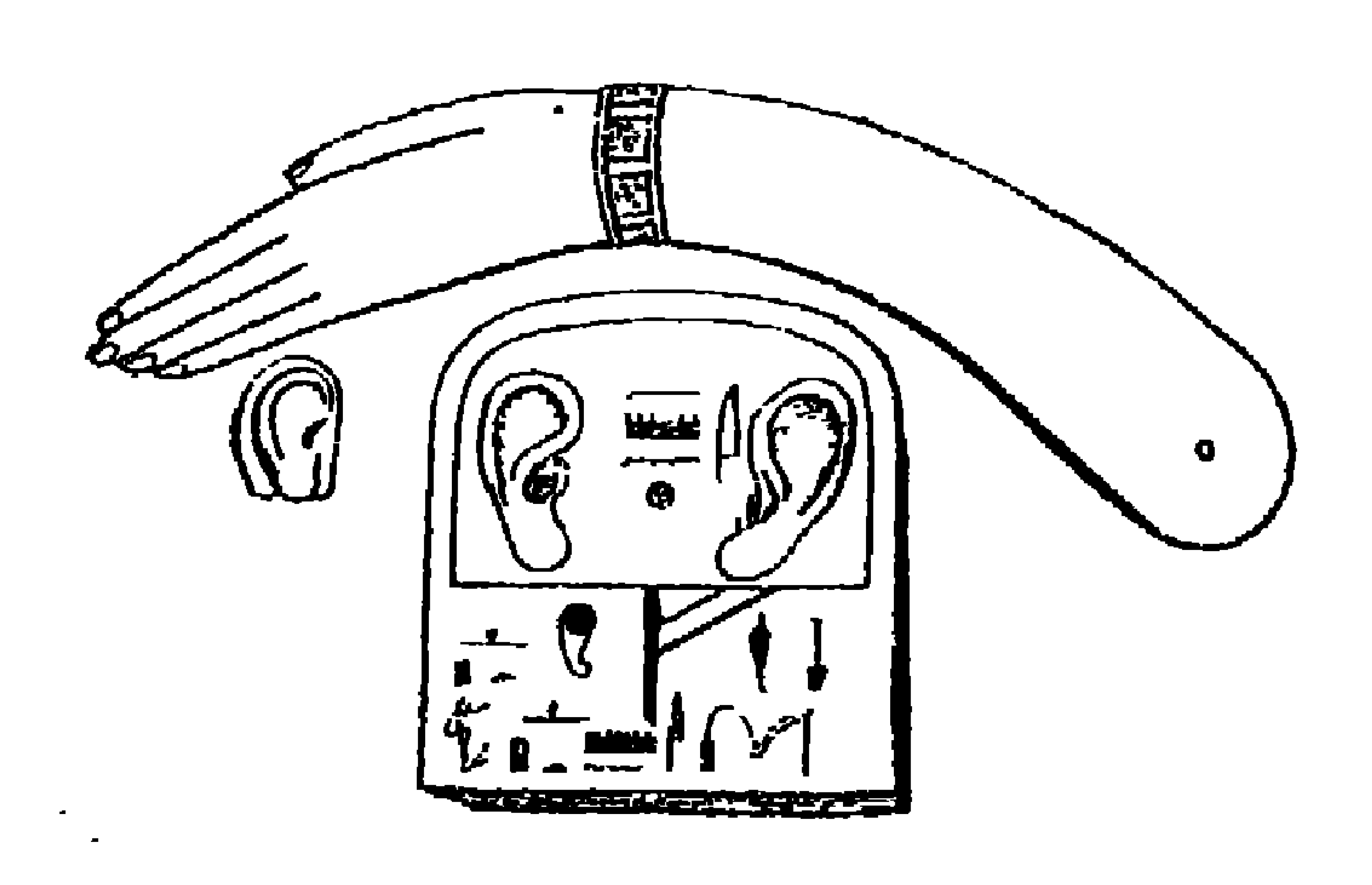
(٥) اذا كنتم ترون الغاء البغاء الرسمى فهل يكون ذلك تدريجيا أم دفعة واحدة ؟ (ج) يكون دفعة واحدة ليكون العلاج حاسما ، وتأثيره تاما .

والى هنا قد استوفى البحث حقه واتم اليراع جولته ، راجيا ان ينال لدى القراء ارتياحا يشجع على استمراره فى اشرف الواجبات الجديرة بالرضاء العام .

اسمى البشائر الادبية

من أجل ما نتيمن به لنجاح المجهودات الأدبية فى هذا السبيل أن نزف الى حضرات قراء هـذه المجالة تقرير الاقتراح الخاص بألغاء البغاء الغاء تاما ينطق ألسنة التاريخ بفرائض الشكر والاجلال لصاحب الجلالة مليكنا المعظم الذى فى عصره السعيد تتطهر البلاد من كل شائنة وتنهض الى تعزيز الآداب ونشر الفضائل وتمهيد السعادة للبلاد وأهلها ، تنفيذاً للرغائب السامية التى يتلقاها و يؤديها حضرات القائمين بأزمة الأعمال فى ظل مليكنا المعظم وطبقا للارشادات السامية ، فينالون بعد رضاء جلالته تمجيد التاريخ لثباتهم ومبادرتهم فيما ينطق الافواه بالثناء عليهم ، سواء فى ذلك أعضاء الهيئة الحكومية الجليلة وطبقات الباحثين من عظماء الرجال والأدباء الذين ناصروا الحقيقة بمباحثهم القويمة حتى وضح الحق لذى عينين ، وأمكن للناس أن يترقبوا محو كل شائنة فى تاريخ البلاد والنهوض الى تقويم الأخلاق جهد الاستطاعة فتسترد البلاد مجدها وأحياء الآداب والكرامة القويمة

انطون زكرى



فهرست الكتاب

صفحة



المجموعة الأثرية



يحسن لمحبي الاطلاع على المؤلفات العصرية المعروفة بالمجموعة الأثرية الموضحة بصفحة ١١ من هذا الكتاب المبادرة الى اقتنائها. وقد خفضت اسعارها خدمة للعلم وتشجيعا للاطلاع الى أربعين قرشا بعد ان كانت ثمانين قرشا تسهيلا للطلاب ومراعاة للظروف الحاضرة، وهى تطلب من المؤلف والمكاتب الشهيرة .

